666

الأرض الملعونة

قصص

666

تصميم الغلاف: محمد علي

تدقيق لغوي : محمود ربيع

رقم الإيداع: 2018/26877

I.S.B.N:978- 977-6640-49-8

الطبعة الأولى2020م

للنشر والتوزيع

الإدارة: 17 ش عزت باشا المطرية، القاهرة.

المدير العام: آية سعد الدين

مدير النشر : د. رامي عبد الباقي

هاتف: 01099387500 - 01147633268

E – mail:zeinpublish2017@gmail.com

Facebook: Zein Publish

جميع الحقوق محفوظة©

666

الأرض الملعونة

"666"

قصص

زين للنشر والتوزيع

تأليف:

- طارق خيري.
- وائل عبد الرحيم.
- وائل عبد المجيد.
- عبد العزيز أبو الميرات.
- محمد سعد.
- سالي إبراهيم.
- راضي عبده.
- شيماء أحمد.
- شيماء الحسيني.
- ياسر الشاذلي.
- حسني الجهيني.
- شاهيناز الفقي.
- شروق ماهر.
- نبيلة وناس.
- هبة حمدي

طارق خيري..

(1) أبو سريع

"بتلوموني ليه؟.. بتلوموني ليه؟.."

تعالى صوت (أحمد أبو سالم) وهو يردّد خلف المذياع منطلقًا بسيارته في الطريق الزراعي بين مركز (أطفيح) وقرية (صول)، كان يشعر بسعادة بالغة بعد أن أتمّ إجراءات الميراث؛ حيث أنه الوريث الوحيد لعمّه الذي تُوفِّيَ غرقًا في الترعة، بعد أن انحرفَت سيارته أثناء رجوعه من دفن ابنه الوحيد الذي لم تُكتَب له النجاة من عملية الولادة المتعثّرة على يد داية القريه (أم سيد).

"لو شُوفْتم عينيه.. حلوين قَدّ إيه.."

لمح (أحمد أبو سالم) بطرف عينِه ما يبدو أنه خيال رجل يجرِي بجوار الترعة، إلا أنه لم يُعِر اهتمامًا وزاد الضغط على دوّاسة البنزين؛ ليسرِع قليلًا، إلا أنه لَمَح الخيالَ مرة أخرى، وقد زاد سرعته ليعبر فوق الترعة ويجري موازيًا للسيارة؛ فارتعد قلبه من الخوف وزاد الضغط على دوّاسة البنزين ليزيد من سرعة السيارة مرة أخرى، ليختفي الظل مرة أخرى، وظل (أحمد أبو سالم) ينتفِضَ من الخوف وزاد من ضغطه على دوّاسة الوقود حتى كادت قدمه تخترق باطن السيارة، وعند مروره بمحاذاة النقطة التي غَرِق فيها عمه رأى الخيال متجهًا نحوه بسرعة شديدة حتى كاد يخترق الزجاج؛ فانحرف بالسيارة بحركة غريزية لتسقط السيارة في الترعة.

ظلّ الخيال يحوم حول نقطة سقوط السيارة كما لو كان يريد أن يتأكد من غرق (أحمد أبو سالم)، ثم بعد فترة تحرّك واختفَى بين الأشجار مرة أخرى.

– نَفَر واحد (صول).. نَفَر واحد (صول)..

تعالَى صوتُ المنادي في موقف الميركروباص بعين بحلوان؛ فأشارت له سيدة تبدو في الستينات من عمرها وهي تسرع الخُطَا لتركب الميكروباص، وبصعوبة بالغة استطاعَت الوصول للكنبة الخلفية لتجلس بجوار امرأة في الثلاثينات؛ فنظرت إليها المرأة قائلة لها بابتسامة خبيثة:

– ازيّك يا أختي؟ عاش من شافك يا أختي..

فنظرت لها (أم سيد) بضيق قائلة:

– ازيّك يا حبيبتي؟

صعد السائق إلى الميكروباص وانطلَقَ به بشكل متهور؛ فتعالَى صوت الركاب محذّرين، فأسكتهم أحد الركاب قائلًا:

– اتركوه يسرع لنصل قبل الظلام، حتى لا نقابل (أبو سريع)!

فسكت بعضهم تمامًا، وتساءَل البعض الآخر: من (أبو سريع) هذا؟

– إنه العفريت الذي يخرج من بين الأشجار على الطريق الزراعي ليطارد السيارات.

هنا تكلّم السائق بصوت عميق قائلًا:

– فعلًا، هناك عفريت يطارد السيارات على الطريق الزراعي، ولكن ليس كل السيارات، إنه يطارد السيارات التي يستقلّها من شاركوا في مؤامرة قتله.

امتقَع وجه أحد الركاب ليسأل السائق بصوت مرتعش:

- هل كنت تعرفه؟

- بالطبع كنت أعرفه، لقد كان أعز أصدقائي.

وزاد من سرعة الميكروباص وهو يقول:

- سأقص عليكم قصة (أبو سريع).

كان رجلًا ميسور الحال، تاجر خضروات وفاكهة، لم يرزقْهُ الله بالذرية، مع أنه تزوّج أربع مرات.

و بعد أن تجاوز الستين من العمر شاء الله أن تحملَ زوجته الجديدة بطفل، طار الرجل من الفرحة ولم يصدق أنه سيكون له وريث من صلبِه، وتمنى من الله أن يرزقَهُ بولد، وأغدق على زوجته الشابة بالأموال والهدايا، ووعدها بأن يهديها قطعةَ أرض لو كان المولود ذكرًا.

وطبعًا لم يَرُقْ هذا لابن أخيه الذي كان ينتظر موته بفارغ الصبر؛ ليرث ثروته الكبيرة، وبدأ ابن أخيه في حياكَةِ مؤامرة ليتخلص من التاجر ومن ابنه.

كان ابن أخيه شابًا مستهترًا لا يعمل، يتعاطَى المخدّرات حتى مات أبوه بحسرته؛ فلم يجد غير عمه التاجر الغني ليتودّد إليه من أجل الحصول على الأموال، إلّا أن عمه قام بطرده ومنعه من زيارته مرة أخرى، فعزم النية على قتل عمه؛ ليرثه، لكنه تفاجأ بخبر حمل زوجة عمه الشابّة.

كان يمتلك قيراطَ أرض زراعية هو كل ما تركه له والده؛ فقام ببيعه ليستطيع الصرف على تنفيذ خطته.

سكت السائق قليلًا ليلتقط أنفاسه، ونظر إلى السماء وقد قاربَت الشمس على الغروب، ولكنه ظلّ مرتديًا نظارته الشمسية والسيارة تنهب الأرض نهبًا، ثم أكمل:

- بدأ ابن أخ القتيل في تنفيذ خطته بالتودّد إلى عمه مرة أخرى، وذهب ليزوره وهو يحمل هدية قيمة للمولود المنتظر، وأخذ يُقسِم لعمه أنه استقام وابتعد عن المخدرات، وأنه باع قيراط الأرض لأنه سيشارك في مشروع مع أحد أصدقائه، وبالفعل صدّقَه عمه وقرّبَه إليه، وأصبح دائم التردّد على بيت عمه ليتودد إلى الخادمة، وهي أرملة في أواخر الثلاثينات ويوهمها بحبها له ورغبته في الزواج منها، ومن ناحية أخرى أقنَعَ عمه بألا تلد زوجته في المستشفى؛ حتى لا يتم تبديل ابنه بطفل آخر، وأخبره بانه سيتفق مع الدّاية لتقوم هي بتوليد زوجته.

وبالفعل وافق عمه على اقتراحه غير عالم بأن ابن أخيه الوحيد كان قد اتّفق مع الدّاية والخادمة على خنق الأم أثناء عملية الولادة مقابل مبلغ من المال، وهدّدَها بالقتل إذا قامت بإفشاء السر الذي بينهم لأي مخلوق.

وجاءَت الليلة الموعودة وظل التاجر يرتجِف من الانفعال وهو يسمع صرخات زوجته أثناء الولادة، ورأى الخادمة وهي تحمل إناء الماء الساخن وتدخل إلى الحجرة وطالت المدة، ثم انقطعت الصرخات تمامًا لتخرج بعدها الخادمة وهي تبكي؛ فسقط قلبه بين قدميه وهي تقول من بين دموعها:

- البقيّة في حياتك يا بيه.

انهار الرجل ولم يصدّق أن وليّ العهد المنتظر فارق الحياة، واقتحم الحجرة ليجد أن زوجته فارقَت الحياة، والدّاية جالسَة بجانبها تبكي؛ فخارت قواه ليسقط على الأرض مغشيًا عليه.

نظر السائق إلى الخلف ليجول بعينيه بين وجوه الراكبين، وابتسم عندما شاهد امتقاع وجه بعضهم، كانت السماء قد أظلمَت تمامًا والسيارة اقتربت من مركز (أطفيح)، وقال أحد الراكبين:

– كمل يا اسطَى.. عايزين نعرف بقية الحكاية قبل ما ننزل في أطفيح!

نظر السائق إلى السماء مرة أخرى وهو يقول بصوت بدَا عليه الحزن:

– تماسك التاجر على الرغم من قوة الصدمة، وفي اليوم التالي قام بدفن ابنه في مدافن العائلة بأطفيح، وبعد إتمام الدفن أمَرَ سائقه بتجهيز السيارة للعودة إلى مسكنه بقرية (صول)، إلّا أن السائق تحجّج بأن زوجته مريضة وأنها في انتظاره في المستشفى العام بأطفيحح فقام ابن أخيه بعرض مساعدته لقيادة السيارة، وأثناء عودتهم قام ابن أخيه بالانحراف بالسيارة والسقوط بها في الترعة، وقفز منها في اللحظة الأخيرة؛ ليبدو الأمر كحادث، وبالفعل قامت الشرطة باعتبار الأمر كحادث؛ ليصبح ابن الأخ الوريث الوحيد لعمه.

.....

وصلت السيارة الميكروباص إلى مركز (أطفيح) لتتوقف، وقام بعض الركاب بالنزول ليبقى في السياره رجل وامرأتان، الذين شعروا بتسمّر أقدامهم على الرغم من رغبتهم في النزول.

و قبل أن تتحرك السيارة في اتجاه الطريق الزراعي قالت المرأة المُسنّة وقد شعرت بأن ما يحدث غير طبيعي:

– استنّى يا اسطى أنا هَنزل هنا.

فابتسم السائق وهو يضغط دواسة البنزين لتتحرك السيارة، والتَفَت للخلف قائلًا:

– انتظري لتعرفي بقية القصة.. ثم استطرد قائلًا:

قام ابن أخ القتيل بتوكيل محامي للانتهاء من إجراءات الميراث، وقام بدفع مبلغ من المال للخادمة والدّاية والسائق، ووعدهم بالمزيد من النقود بعد الميراث، وبالطبع ظلّت الخادمة متوهّمة أنه سيقوم بالزواج منها، والثلاثة لا يعلمون بأنه كان يُعدّ خطة لقتلهم الثلاثه في حادث ليموت السر إلى الأبد.

ارتجف الرجل والمرأتان، وقال الرجل بصوت مرتجف:

– وكيف عرفتَ كل هذا؟!

– قبل أن أخبرك كيف عرفتُ كل هذا يجب أن تعرفوا أن ابن الأخ (أحمد أبو سالم) قد سقط غارقًا في الترعة بالأمس بعد أن رأى (أبو سريع)، وهذا هو السبب في أنه لا يرد على مكالماتكم.

شعر الثلاثه بقلوبهم تهوِي تحت أقدامهم وقد أدركوا بأن ما يحدث أمر خارق للطبيعة، وزاد السائق من سرعة السيارة، وقام بخلع نظارة الشمس ونظر للخلف؛ ليجد الثلاثةُ فجوتَان سوداوان مكان مقلتَي عينيه؛ فصرخت المرأتان وحاول الرجل فتح باب السيارة والقفز منها، إلا أن الباب لم يستجب، وصرخ السائق في وجوههم بصوت جهوري بدا وكأنه قادم من تحت الأرض:

– لقد عمَى الطمعُ قلوبَكم وصارت قاسية كالصخر، أنتم الثلاثه شاركتم ابن أخي في مخطّطِه الشيطانيّ، وقمتم بقتل ثلاثة أرواح، أنا وزوجتي وابني الذي لم تمهلوه ليرى الدنيا وقتلتموه قبل حتى أن يلتقط أنفاس الحياة.

لقد ظلّت روحي قلقَةً تطالب الانتقام، وظلَلْتُ أطارد السيارات عند النقطة التي غرقتُ عندها حتى قتلتُ ابن أخي، واليوم سيكتمل انتقامي.. كنت أود قتلكُم، ولكني وجدت أن الموت سيكون راحة لكم.

ثم انحرف بالسيارة ليقفز بها في جزء ضحلٍ من الترعة؛ لتنغرس عجلاتها في الطين ويمتلئ نصفها بالماء، وحاول الرجل والمرأتان فتح الباب والخروج، ولم يلاحظوا اختفاء السائق، وأثناء محاولتهم الخروج شعرُوا بمئات الأيادي تجذبُهم من الأسفل؛ فصرخوا وظلوا يحاولوا الخروج، وضحكات (أبو سريع) تتردّد من حولهم قبل أن يسمعوا صوته يقول:

- سأظل أزوركم حتى آخر يوم في حياتكم، لن تستطيعوا الهروب منّي حتى في أحلامكم، من يريد منكم الهروب فَلْيُنْهِي حياته بيده كما أنهيتُم حياتي وحياة زوجتي وابني.

ظلّوا يحاولون الخروج من السيارة حتى وصلَت المياه إلى رقابهم، ثم ظلّت ترتفع ببطء حتى غطّتهُم تمامًا.

.....

أفاقَت الخادمة صارخة لتجد حولها رجالًا يرتدون الزيّ المميز للشرطة، ورجل بزِيّ طبيب، ونظرت حولها لتجد أنها راقدة على السرير في المستشفى، وترقد في السرير الذي بجانبها (أم سيد) الداية فاقدة الوعي، فقام الضابط بسؤالها:

- ما الذي حدث؟

- الميكروباص وقع في الترعة يا بيه.

ثم بدأت في الارتجاف وهي تتذكّر ما حدث وبدأت تبكي، فقال الطبيب للضابط:

- إنها مصابة بصدمة ولن تستطيع الكلام، بمجرد أن تستقر حالتها يمكنك متابعة الاستجواب.

فقام الضابط ومساعدوه بترك المكان، وقام الطبيب بالابتسام وخلع نظارته الشمسية؛ لتجد الخادمة نفسها تحدّق في الفجوتين السوداوين؛ لتدرك أن الطبيب هو نفسه (أبو سريع)؛ فصرخت صرخة عالية ثم فقدت الوعي.

فأعاد ارتداء نظارة الشمس وهو يقول بصوت خافت:

- لن يرحمكم مني غير الموت.

وائل عبد الرحيم..

(2) عودة العمّة

طيلة عمري وأنا أكره عمتي!

أعرفكم بنفسي أولًا..

أنا حامد عطوة سليمان، ابن عطوة سليمان أشهر جزّاري المدبح، عمري خمسة عشر عامًا، وأدرس بالصف الثاني الثانوي؛ حيث حرص والدي على تعليمي لئَلّا أكون جاهلًا مثله، حسب قوله.

أعيش أنا وأبي وأمي وعمّتي في بيت كبير يطلّ على المدبح الذي يمتلك به والدي المعلّم عطوة عدّةَ محال كبيرة للجِزَارة، أكبرها وأشهرها ذلك الذي يحتل الطابق الأول بالكامل من منزلنا الكبير.

كانت عمتي غير متزوجة بالرغم من سنها الكبير، والواقع لم أندهش من هذا؛فهي بالإضافة لدمامة وجهها، وأيضًا لحجمها الضخم الذي يجعلها أشبه بثور ضخم من تلك الثيران التي يأتي بها أبي ليدبحها بمحله، فقَد كانت سيئة الخُلُق لا يسلم أحد أبدًا من لسانها السليط الذي لا يراعي اعتبارًا لأية حدود،حتى أخاها –والدي- كان لا يسلم من سوء خُلُقها، بالإضافة إلى أمي السيدة الطيبة الهادئة التي تكرّرَت مشاجرات عمتي معها بسبب وبدون سبب، ومهما تحاول أمي أن تتجنبها ولا تزعجها تذهب محاولاتها سُدًى، حيث تشعر وكأن عمتي هي من تحاول استفزازها عمدًا.

وبطبيعة الحال لم أسلم أنا أيضًا من سوء خلقها، بل في الواقع كنت أكثر من تمارس عليهم عمّتي تسلطّها بحكم سني ووضعي بالنسبة إليها؛ فكانت دائمة الإهانة والضرب لي مع سبّي بأبشع الألفاظ

وأشنعها، ولا يُثْنِيها عن هذا محاولات أبي وأمي لإيقافها؛ مما يؤدى لمزيد من المشاجرات بين ثلاثتهم.

ولقد سمعت والدي كثيرًا وهو يشتكي لأمي من عمتي قائلًا أنه لا يستطيع طردها لأنها تمتلك نصف المنزل بوصية من والده قبل وفاته، وأن علينا الاحتمال حتى يأتي من يتزوجها ويأخذها لتعيش معه ويشتري منها والدها نصف المنزل الذي ترفض بيعه له حتى الآن.

واستمر الحال على هذا الوضع السيئ حتى جاء ذلك اليوم الذي لن أنساه أبدًا.. كنت أجلس في محل جزارة والدي أسفل المنزل، وقد خرج هو مع عُمّاله للإتيان بكمية جديدة من اللحوم من مجزَرِه الكبير، وفوجئت بعمتي تدخل على المحل وتطلب مني بصوتها الخشن الذي يشبه أصوات المصارعين بأن أصعد معها لتنظيف شقتها، ولكني رفضتُ؛ لأني أجلس في المحل وحيدًا وقد طلب مني والدي أن أرعَى المحل في غيابه.

ولكن عمتي أصرّت على اصطحابي؛ فأصررتُ أكثر على الرفض؛ ففوجئت بها تدفعني دفعة قوية لأسقط أرضًا وتصطدم رأسي بالحائط فأُجرَح وتبدأ الدماء تسيل من رأسي مع دُوَار عنيف يكتنفني.

حدث هذا مع دخول والدي للمحل ومشاهدته ما حدث؛ فانقلبت سحنته على نحو رهيب وبدا الغضب على ملامحه لدرجة أنه تجاهلني تمامًا وهو يتقدم من عمتي سابًّا إياها بأبشع الألفاظ، ثم ينهال عليها ضربًا وركلًا وهي تصرخ غير قادرة على الإفلات من ثورة غضبه العارمة، حتى سقطت بداخل أحد مخازن اللحوم بداخل المحل؛ لأرى والدي وسط ذلك الدُّوَار الذي أصابني وهو يستلّ سكينًا ضخمًا لاحقًا بها إلى الداخل مغلقًا الباب وراءه؛ لترتفع صرخاتها أكثر وأكثر حتى صمتَت تمامًا.

حاولت التحامل على نفسي والاقتراب من الحجرة، ولكني لم أستطع؛ فتهاوَيْت على احد المقاعد وأنا ألهَث محاولًا سدّ الجرح ببعض من قطع القطن التي يحتفظ بها والدي للطوارئ بالمحل، والتي كانت قريبة مني لحسن الحظ.

ومن الإرهاق والتعب ذهبتُ في النوم لوقتٍ لم أعرف مقداره حتى استيقظتُ على يد والدي وهو يوقظني ويضمّد جرحي؛ فسألته في ضعفٍ عن عمتي ليقول لي أنها بخير وفي شقتها.

ثم نهض واتّجَه لذلك المخزن ليُخرِج منه عدة أجولة تمتلئ باللحوم مع جوال يمتلئ بالعظم مع مجيء رجاله ليأمرهم بتعليق اللحوم للبيع وإلقاء العظام للكلاب الضالة.

وتتسع عيناي رعبًا.. تُرَى هل..؟! أمِنَ الممكن أن يكون والدي قد فعَل هذا؟!

نظر لي أبي هنا فارتجَفت.. رأيته يشير إليّ أن أتقدم وأجلس بجانبه..

تقدّمتُ وارتجافتي تتزايد وجلستُ بجانبه وأنا أتطلع إلى ذلك اللحم المعلّق في ذعر متزايد.

وأدهشني هدوء والدي الشديد وأنا أراه يتحدّث مع رجاله وزبائنه في وِدٍّ ومرحٍ، وأيضًا يداعبني في هدوء ويتباسَط معي بالحديث كأن لم يحدث شيء، حتى شجّعنِي هذا على أن أسأله مرة أخرى عن عمتي وأين هي؟

بمجرد سؤالي توقّف عن الكلام دفعة واحدة وعيناه تزوغان لحظيًا، قبل أن تظهر على وجهه ابتسامة متردّدة وهو يقول لي ألّا أخاف؛ فهي على ما يرام، إلّا أنها قد قرّرَت الرحيل وقد اشترى منها نصيبها في المنزل وسترحل قريبًا.

اندهشتُ من كلامه وقلت له:

- هل إذا صعدتُ إليها الآن سأجدها؟

فنهرني في عصبية قائلًا لي:

- إياك أن تفعل، لقد انقطعَت علاقتنا بتلك السيدة نهائيًا، سترحل قريبًا وهذا أفضل للجميع، وعليك أن تعتبرها رحلَت منذ الآن.

تأكدتُ حينها من كَذِب والدي ومن صدق إحساسي.. لقد ذبح والدي شقيقته وقطع لحمها، وهو الآن يبيعه للزبائن!

أخذت أرتجف وأنا أتطلّع إلى الزبائن الذين أقبلوا على ذلك اللحم الجديد يشترون منه، وشعرت بالرعب والاشمئزاز معًا يغمرانني، حتى أنني كدتُ أُفرِغ معدتي عدة مرات، وطلبتُ من أبي مرارًا أن يتركني أصعد، لكنه رفض.

وازداد شعور الغثيان لديّ؛ فطلبتُ منه أن أذهب للحمام؛ فقال لي أن أذهب للحمّام الملحق بالمحل.

فذهبتُ إليه وهناك قمت بإفراغ معدتي في الحوض الموجود هناك، قبل أن أعتدل لأراها تنظر إليّ من خلال المرآة! كانت هي.. عمتي.. القتيلة!

....

لم أشعر بنفسي إلا وأنا أصرخ برعب ثم أسقط مغشيًا عليّ، ولم أفِق إلا على سريري ووالدي ووالدتي ينظران لِي والقلق في عيونهما، ووالدي يقول: حمدًا لله على سلامتي، بينما كانت والدتي تحتضنني في لوعة.. وأخذتُ أصرخ بأني رأيتها.

وعندما سألوني مَن؟! انعقد لساني من الرعب ولم أستطع النطق.

وهنا أتى الطبيب الذي استدعَاه ليناظر حالتي، وبعد الكشف عليّ أعطاني حقنة مهدئة، وطلب منهما تركي للاستراحة قليلًا.

وبالفعل تركاني وذهبتُ في النوم، وصحوتُ على صوت خطوات بالمنزل!

نهضتُ مفزوعًا وأنا أنادي على أبي وأمي، ولكن لم يردّ أحد عليّ!

وكانت الخطوات البطيئة مستمرة خارج الغرفة.. وانتفض قلبي بين جنبي.

كانت الخطوات تشبه خطوات عمّتي بطرقعة ذلك (الشبشب) الذي ترتديه دومًا، وخطواتها تقترب من غرفتي.

حبستُ أنفاسي رعبًا وأنا أستمع إلى تلك الخطوات.. حتى انتفضتُ رعبًا مع سماع صوتها! صوتُ عمتي!

كانت تنادي تارةً على أبي وتارة على أمي.. حتى بدأت تناديني!

صرختُ بشدة وأنا أنهض من السرير وألتصِقُ بالحائط فزعًا.. وتوقفَت الخطوات لحظة ثم عادت مرة أخري، وكانت هذه المرة تقترب من غرفتي!

وأخذَت الخطوات تقترب.. حتى توقفت أمام الباب ورأيته يُفتح ببطء بصَرِير رهيب!

وعلى الإضاءة الخافتة القادمة من الخارج رأيتُها!

إنها هي.. عمتي.. أو بمعنى أدق شبحها!

....

تجمدَت الدماء في عروقي وأنا أنظر إلى ذلك الشبح.. لقد كان منظرها فظيعًا.. بالرغم من الإضاءة الخافتة كنت أستطيع رؤية

جسدها الضخم وعينيها الغائرتين وشفتيها الزرقاء، وتلك الدماء التي تسيل من أماكن عديدة من وجهها وجسدها.. ولقد وقفَت تنظر لي قليلًا، قبل أن تقول لي بصوت متحشرج:

– لماذا تصرخ يا حبيبي؟! لا تخف.. أنا هنا بجانبك، لقد جئتُ من أجلك!

وأخذت تتقدّم ناحيتي ببطء.. وهنا لم أستطع التحمل وسقطتُ مغشيًا عليّ مرة أخرى.

....

لا أستطيع معرفة ما حدث بعد ذلك.. لم أعلم أين أخذتني عمتي! فعندما استيقظتُ، وربما لم أستيقظ! لا أعلم بالضبط.. كنت أرى خيالات وأشباح كثيرة أغلبها يرتدي الأبيض، وهي تدور وتلف حولي.

وأسمع أصواتًا متداخلة لا أميّز منها حرفًا، وأرى وجوهًا كثيرة لا أميّز منها ألا.. وجهها!

نعم لقد كانت دائمة الظهور لي بوجهها المرعب المخيف، وأنا لا أستطيع الفرار منها.. ولا أعلم أين أخذتني! ولا أين ذهب الجميع! لكن تلك الأشباح لا تتركني أبدًا.. و...

إنهم يهجمون عليّ الآن.. يحاصرونني.. سيأخذونني معهم.. أنجدوني.. افعلوا شيئًا.. إنهم.......

....

"حسنًا لقد فهمنا كل شيء الآن"

نطق دكتور حسين بهذه العبارة في هدوء وهو يجلس بمكتبه أمام مساعده دكتور حسام، الذي ابتسم وهو يقول:

– نعم يا سيدي؛ فلقد حيّرَتنا هذه الحالة كثيرًا منذ أتى إلى المصحة منذ ما يقرب من عشرة أعوام وكان طفلًا صغيرًا يعاني من ذهول تام وهلاوس سمعية وبصرية.

قال دكتور حسين:

– بالضبط.

ثم أردف وهو ينهض متجهًا إلى النافذة ناظرًا منها:

– لقد أتى به أبَوَاه وهو يعاني من تلك الحالة، ولم يستطع أحدهما إعطاءَنا معلومات كافية عن ما حدث برغم محاولاتنا معهما، ولكننا فهمنا الآن.. وفهمنا أيضًا لماذا كان يصرخ كلّما رأى معهم تلك السيدة.

قال حسام:

– أتقصد عمته؟

قال دكتور حسين:

– نعم.. من الواضح أنه قد توقّع موتها على يدِ أبيه؛ مما أثار فزعه ظهورها المفاجئ له من الغرفة المجاورة، والتي كان قد وضعها بها والده بعد إغماءها إثر ضربه المبرح لها، وبالطبع كانت لم تُشفَ بعدُ من آثار الضرب؛ مما أدى إلى هذه الحالة التي أصابت الطفل ولازمته حتى الآن، ولقد قمتُ اليوم باستجواب والده وواجهته بتلك الأوراق التي كتبها؛ ليعترف لي أخيرًا بما حدث، وبأنه يومها قام بضرب شقيقته ثم حملها بصعوبة ليضعها في غرفة في شقته، ثم هبط وقام بتوزيع اللحم الجاهز للبيع، والذي ظنه ابنه أنه لحم عمته، ويبدو أن هذا هو ما أدى إلى ذلك التخيل الذي جعلَه يسقط مغشيًا عليه في الحمّام؛ ليحمله والده ويضعه في غرفته التي تجاور الغرفة الراقدة بها عمته،

ثم هبط ليرى بعض أموره بينما زوجته بالخارج، ولكن يبدو أن استيقاظ العمة ودخولها على الطفل الذي ظنها شبحًا هو الذي أدى إلى تلك الحالة التي أصيب بها من حينها.

ليقول حسام مبتسمًا:

– ولكن فكرة عبقرية أن تضع تلك الأوراق أمام ذلك المريض؛ مما أدى إلى كتابته تلك الرسالة أخيرًا لنعرف منها جميع ما حدث.

ابتسم دكتور حسين قائلًا:

– ربما الصدفة وحدها هي من قادتنا لاكتشاف الحقيقة، فقَد نسيتُ تلك الأوراق هناك بالصدفة في آخر جلسة لي معه.

قال حسام:

– بالفعل، ولقد أثبتنا مرة أخرى أنه لا يوجد أشباح، وأن كل من يرى أشباحًا إما يتخيلون أو مرضى نفسيون.

واتسعت ابتسامة الاثنين.

....

وهناك.. في غرفته..

كان الطفل -الذي أصبح شابًا الآن- راقدًا في سريره مرتعبًا وهو يرى باب حجرته يُفتَح ببطءٍ شديد ليرى مع ظلامها وإضاءة الخارج الضعيفة شبحَ تلك السيدة ضخمة الجسد ذات العينين الغائرة والشفاه الزرقاء والدماء التي تلطّخ ملامحها وهي تنظر له قائلة بابتسامة مخيفة:

– لقد أتيتُ مرة أخرى.. أوحشْتَنِي يا صغيري!

لتتردد صرخته المرتعبة في أرجاء المستشفى جميعها.

(3) رعب إف إم

سار تامر في طريقه عائدًا إلى منزله بعد سهرة حافلة مع أصدقائِه نجح فيها في هزيمتهم جميعًا والفوز ببطولة تلك الدورة من (البلايستيشن)، والتي نجح في الفوز بتحدّيه لهم بها؛ حيث يعتبر من أمهر أقرانه بها.

كان وأصدقاؤه قد أنهوا دراستهم الثانوية منذ أيام وفي انتظار النتيجة؛ لذا فلم يكن هناك ضَيرٌ من السهر وممارسة هوايتهم المفضلة.

كانت عقارب الساعة تقترب من منتصف الليل، وقد قارَب من الوصول إلى منزله عندما لمحَ ذلك الرجل الذي يفترش الرصيف.

حسبَهُ متسولًا في البداية بمظهره المُزرِي وملابسه الممزقة وشعره الكثيف وذقنه الطويلة، حتى أن منظره بدَا أشبه بالمجاذيب، ولكنه فوجِئَ بتلك الملاءة المتسخة التي تفترش الأرض أمامه وعليها بعض من الأشياء القديمة المتهالكة التي ليس لها علاقة ببعضها البعض.

بطاريات محمول.. شواحن.. نظارات قديمة.. أحذية مستعملة.. أطباق وأكواب وملاعق.. وأشياء أخرى.

بالإضافة إلى ذلك المذياع.

مذياع أسود عادي قديم يبدو بحالة جيدة بعكس باقي ما حوله من أشياء قديمة متهالكة، ولكنه يتميّز بشاشة عليها ساعة مضيئة تشير بدقة للتوقيت الحالي.

لم يعلم تامر لمَ استرعَى هذا المذياع اهتمامه بشدة؟! حتى أنه فوجِئ بنفسه يتوقف أمام الرجل الذي بدا له كأنه بائع جائِل للأشياء القديمة المستعملة، ووجد نفسه يسأله:

- هل هذه الأشياء للبيع؟

رفع إليه الرجل عينين لا تظهران تقريبًا من حجم ما يحيطهما من حاجبين غليظين يغطّيهما الشعر الكثيف، وهو يقول له بهدوء:

- نعم للبيع، أي الأشياء تريد؟

أشار تامر ناحية المذياع قائلًا:

- هذا.

أخفَت أهداب الرجل الْتمَاعَةَ عينيه وهو يقول لتامر:

- إذن فهو لك، بإمكانك أخذه.

بدَت الدهشة على صوت تامر وهو يسأله:

- بهذه السرعة.. ألن تقُل لي سعره على الأقل؟

أشار الرجل بيده قائلًا:

- لن نختلف، ادْفَع ما بدا لك.

استفزّت كلماته تامر؛ فقال له مازحًا:

- هكذا؟ ولكني ليس لدي إلا جنيهان فقط.

الرجل بسرعة:

- حسنًا، سآخذهما مقابله.

ارتفع حاجبَا تامر في دهشة وهو يقول:

- حقًا؟! ستأخذ جنيهَين فقط؟!

الرجل:

- نعم، والآن هل ستأخذه أم ستتركه؟

خشِيَ تامر من خسارته لذلك العرض المتميز؛ فنقَدَه الجنيهَين سريعًا وحمل المذياع وانصرف مندهشًا من سرعة وسهولة تلك الصفقة العجيبة، ولكنه نفَضَ دهشته جانبًا وهو يتطلّع إلى المذياع بإعجاب متزايد متجهًا إلى منزله دُونَ أن ينظر وراءَه؛ فلم يلاحظ اختفاء الرجل من على الرصيف...

تمامًا!

....

"تبًا إنه لا يعمل"

هتف بها تامر محنقًا وهو يضع المذياع أمامه بعد عدة محاولات منه لتشغيله.. فمنذ وصوله للمنزل وحتى هذه اللحظة والساعة تقترب من الثانية والنصف صباحًا وهو يحاول تشغيل ذلك المذياع، أو التقاط أية محطة بلا جدوى.

كان متأكدًا من أن الجهاز يعمل؛ فهو يسمع بعض التشويش، وأيضًا تأكد عن طريق مذياع هاتفه أن الإرسال الإذاعي قويّ، واستطاع التقاط عدة قنوات به.

إذن لماذا لا يعمل هذا الجهاز اللعين؟

قال هذا لنفسه وهو يقول أن هذا المذياع بالفعل لا يستحق حتى الجنيهان اللذان دفعهما به، وأنه هو الخاسر في هذه الصفقة.

وعندما حانَت منه التفاتة إلى شاشة المذياع وجدَها تشير إلى الثانية والنصف صباحًا؛ فقرر النهوض للنوم و......

"أهلًا بكم أعزائنا المشاهدين في قناتكم "رعب إف إم". وبرنامجكم "رعب الثالثة والربع"".

انتفضَ من مكانه مذعورًا مع ارتفاع ذلك الصوت من المذياع بدون سابق إنذار، ولكنه نفَضَ دهشته وذُعرَه جانبًا، وقد استرعَى انتباهه اسم تلك القناة الغامضة الذي تم نطقه بصوت أنثوي هادئ.

وأيضًا اسم ذلك البرنامج.. رعب الثالثة والربع!

تأكد من التوقيت.. الثانية والنصف، تساءل: ما علاقة الثانية والنصف بالثالثة والربع؟

انتهَت هنا موسيقى عالية تلَت الجملة الأولى؛ ليرتفع ذلك الصوت الأنثوي مرة أخرى وهو يقول:

- والآن نحن في انتظار أول اتصال من أول مستمع؛ ليحكي لنا قصة مرعبة حدثت له.

اختفى صوت المذيعة عندها؛ ليبدأ صوت موسيقى أخرى مرعبة تتصاعد بدرجة ثابتة مع أصوات صراخ وعواء وزمجرَة في الخلفية؛ ليكوّنوا مع تلك الموسيقى سيمفونية من الفزع الذي ارتجَف له جسد تامر رغمًا عنه، قبل أن يطرأ على خاطره تساؤل ما.. كيف سيعرف المتّصل المنتظَر رقم البرنامج إذا كانت المذيعة لم تذكره؟!

وعندما وصل بأفكاره إلى تلك النقطَة انقطع صوت الموسيقى بغتَةً مع ارتفاع صوت رنين هاتف تقليدي أتبعَهُ صوت المذيعة الهادئ وهي تقول:

- والآن نستقبل الاتصال الأول والأخير لهذه الليلة.. ونقول له ألو.

تساءَل تامر ما الذي تعنيه المذيعة بكلمة الأخير؟! قبل أن ينتبه على صوت المتصل الذي ارتفع من المذياع قائلًا بصوت وضَحَ ارتجافته:

- ألو.

ليرد عليه صوت المذيعة:

- أهلًا وسهلًا بك في برنامجنا رعب الثالثة والربع، هل لنا أن نتعرف بك؟

الصوت:

- أُدعَى تامر.. تامر صادق.

اندَهَش تامر بشدة؛ فهذا هو اسمه أيضًا!

ولكنه استمر في الاستماع، وصوت المذيعة يعود قائلًا:

- يبدو أن لديك قصة مرعبة يا أستاذ تامر.

رد عليها صوت المتصل الذي بدا مألوفًا وبشدة لأذُنَي تامر وهو يقول بنفس الارتجافة الواضحة في نبراته:

- نعم، لديّ قصة مرعبة وغريبة للغاية.

المذيعة:

- تفضل سيدي، الميكروفون معك.

المتصل بعد لحظة صمت:

- منذ عدة أيام كنت أسير في طريق عودتي للمنزل ليلًا بعد جلسة صاخبة مع بعض الأصدقاء، هزمتهم بها جميعًا في لعبة كرة قدم

الكمبيوتر الشهيرة، عندما قابلت ذلك البائع الذي يفترش ببضاعته القديمة أرض الشارع..

بدأ التوتّر يغزو ملامح تامر وهو يستمع للصوت، الذي أكمل:

– لم أُعِره انتباهًا أو اهتمامًا في البداية، حتى مررتُ بجانبه وهنا لفت انتباهي ذلك المذياع..

بلغ توتر تامر حدّه الأقصى وهو يستمع إلى الصوت الذي تابع وارتجافته تتزايد:

– كان مذياعًا قديمًا أسود بحالة جيدة، ذو مؤشر وله شاشة عليها ساعة رقمية، لم أعلم لمَ اهتمَمْتُ به هكذا؟ حتى أنني اقتربت من البائع وسألته عن ثمنه، ولدهشتي وجدتُ ثمنه زهيدًا جدًا حتى لا يقترب من ثمن البطاريات الجافة التي يحتاجها مثل ذلك النوع لتشغيله بدون كهرباء، فنقَدتُه الثمن وفورًا، وعدت به إلى البيت سعيدًا..

قفزَ تامر من مكانه مرتعبًا، والمذيعة تسأل المتصل:

– وماذا حدث بعد ذلك سيد تامر؟

الصوت:

– حاولت تشغيله مرارًا بدون فائدة؛ حيث فشلت في الحصول على أية محطة، حتى أتَت الساعة الثانية والنصف تمامًا، وهنا صدر ذلك الصوت من المذياع..

المذيعة:

– أي صوت؟

الصوت:

– صوت من قناة رعب تُدعَى "رعب إف إم"، وبرنامج للرعب يُدعَى "رعب الثالثة والربع" يستقبل مكالمات من المشاهدين لرواية قصص غريبة ومرعبة حدثت لهم..

وهنا لم يعد لدَى تامر أي مجال للشك..

المتصل يحمل نفس الاسم.. ومر بنفس ما مرّ هو به بالضبط منذ عودته من لقاء أصدقاءه.. ومروره بذلك البائع.. وشراءه المذياع.. ومحاولته تشغيله حتى تم تشغيله الثانية والنصف تمامًا على تلك الإذاعة الغريبة.. ثم ذلك الصوت.. صوت المتصل الذي علم الآن لمَ بدا له مألوفًا؟!

فلقد كان صوتُه هو بنفسه..

تراجَع بظهره في رعب ناظرًا إلى المذياع وهو يستمع إلى المذيعة التي لم يبدُ عليها الاهتمام بتشابه اسم القناة والبرنامج في قصة المتصل مع اسم قناتها وبرنامجها هي، وهي تقول له:

– وماذا حدث بعد ذلك؟

المتصل:

– تلقى البرنامج الاتصال الأول من مستمع بدأ يروي وبالتفصيل جميع ما حدث لي منذ حصولي على ذلك المذياع، على اعتبار أن هذه هي قصته هو، أصابني الذعر خصوصًا أن ذلك المتصل صوتُه يماثل صوتي تمامًا؛ فحاولتُ إغلاق المذياع ولكن بلا جدوى، حتى انتهى المتصل من روايته في تمام الساعة الثالثة والربع تمامًا، وعندها فُتِحَت أبواب الجحيم..

أدار تامر نظره برعب إلى تلك الساعة الرقمية ليجدَها تشير إلى ذلك التوقيت المرعب الذي قالته المذيعة بنفسها بصوت بدا مرعبًا مريعًا:

- والآن انتهى برنامجنا في تمام الساعة الثالثة والربع، وحان الوقت..

ثم ظهرت تلك العينان الوحشيتان على شاشة المذياع، بينما تحوّل صوت المذيعة الهادئ لصوت شيطاني مريع يقول بوحشية:

- وقت الرعب!

ولم يجد تامر الفُرصَة للصراخ!

****

اليوم التالي الساعة الثانية والنصف ظهرًا..

"أهلًا بكم مع قناتكم "رعب إف إم"، وحلقة جديدة من برنامجكم رعب الثالثة والربع"

جلسَت تلك الفتاة متوترة تستمع إلى تلك الكلمات ثم الموسيقى التي تلَتْها، حتى أتى الاتصال الأول من فتاة قامت بتعريف نفسها باسم: ريم صادق.

اندهشت الفتاة من تشابه اسم المتصلة مع اسمها، ولكنها بدأت في الاستماع إليها وهي تروى حكايتها قائلة:

- بالأمس اختفى أخي من حجرته من دون أدنَى أثر، ولم نعثر بغرفته إلا على مذياع.. مذياع أسود قديم!

(4) انتقام فريدٌ من نوعه

هبطَت (إيناس) من منزلها بعد أن أغلقَت الباب جيدًا، ذهبت لشراء بعض مستلزمات المنزل، خرجت من المتجر.. وفى طريقها للمنزل لاحظَت شخصًا يحدّق بها، لم تعِرْهُ اهتمامها ومضت في طريقها، قبل أن تصل إلى المنزل اقترب منها وهو يقول:

- لابد أن هذه الأكياس ثقيلة، دعيني أساعدك.

مدّ يده يحاول أن يلتقطها، إلا أنها أبعدَت يدها فورًا وهي تقول في غضب:

- من أوحَى إليكَ أنني بحاجة لمساعدتك؟! انصرف قبل أن أستدعي الشرطة.

هتف في انفعال:

- لا يوجد ما يستحق استدعاء الشرطة، حسنًا سوف أنصرف.

انطلقت بالفعل في طريقها سريعًا، واقتربت من المنزل.
فؤجئت بأحد يهمس في أذنها:

- سوف نلتقي مرة أخرى ولن نبتعد ثانيةً.

التفتَت خلفها في ذعر، لكن لم يكن هناك أحد بجوارها.. ولا خلفها.

ألقَت الحقائب على الأرض وهي تتلفّت يمينًا ويسارًا، لكن لم يكن هناك أحد، هزت رأسها وهي تقول في خفوت:

- لعل هذا وهم.

لم تكد تنتهي من نطقها حتى سمعت صوتًا يقول في ثقة:

- هذا ليس وهمًا يا حبيبتي.

لم تكَد تسمع هذه الجملة حتى التفتَت خلفها مرة أخرى، لكن لم يكن هناك أحد، انتابها الفزع والدهشة.. انطلقَت سريعًا وهرولَت على سلم المنزل، حتى أنها تركت الحقائب ملقَاةً على الأرض، كانت تجري كأنما تطاردها الشياطين.

ما إن دخلت الشقة حتى أغلقَت الباب جيدًا، ودخلت غرفة نوم (رُودَينا) ابنتها لتطمئِنّ عليها، كان الخوف والفزع يسيطران عليها، بمجرد أن شاهدتها ترقد في فراشها حتى تنفسَّت الصعداء، بعد قليل هدأت أعصابها وقامَت بتغيير ملابسها، وجلست تفكّر فيما حدث، أسندت رأسها على المقعد، من هذا الشخص؟!

هل الصوت الذى سمعته صُدفة؟!

فجأة وبدون مقدمات وجدته أمامها! صرخَت بأعلى صوت في فزع، ثم استطردَت قائلة:

- أنقذوني.. لص.. لص..

توقعَت أن يفر من أمامها، إلا أنه على العكس تمامًا: ضحك بصوت عالٍ كأنه لا يبالي بصراخها، ثم جلس على المقعد أمامها، ثم هتف في سخرية:

- لن يستطيع سماعكِ أحدٌ مهما طال صراخك؛ لذلك اصمتي حتى يمكننا التحدث.

ارتفع صوت صراخها أكثر وأكثر، لكن عندما لم يستجِب لها أحد صمتَت تمامًا، ضكك وهو يقول في سخرية لاذعة:

- لقد أخبرتكِ مسبقًا بعدم جدوى الصراخ؛ لذلك اصمتي واستمعي لحديثي، لقد بدأ الأمر منذ فترة وجيزة، لقد شاهدتُكِ صدفة وأُعجَبتُ بك وراقبتك وشاهدتُ جسدك؛ فلم أستطع مقاومة فتنتَكِ وسحرك، عند ذلك أعلنتُكِ زوجتي.

انتفض جسدها وهي تشهق بصوت عالٍ، قبل أن تهتف:

- لكن أنا متزوجة بالفعل، كيف يمكن...

قاطعها في لهجة غاضبة:

- لا تذكري هذا الأمر مرة أخرى.. هل فهمتِ؟

كان الخوف يسيطر عليها؛ فلَم تجد سوى أن أومأت برأسها إيجابًا.
لانَت ملامح وجهه وهو يقول:

- حسنًا، منذ الآن أعلنتُ أنكِ زوجتي.

انتفضَ جسدها في رعب، وانكمشَت أكثر وأكثر على المقعد عندما هب واقفًا وهو يقترب منها، حتى أصبح أمامها مباشرًا، حاولت الصراخ إلا أن الصوت تحشرج.. لم يتحمّل جسدُها فانهارت فاقدة للوعي.

بعد مرور عدة ساعات.. أفاقت لتجد نفسها ما زالت على المقعد، لم تلبَث أن تذكّرَت ابنتها، هبَّت تجري سريعًا نحو غرفة نومها لتجدها ما زالت نائمة، تنفسَّت الصعداء وخرجَت من الغرفة قبل أن تستيقظ، ذهبَت لإحضار السكّين ومشطَّت أرجاء الشقة، لم يكن هناك أحد! دخلَت غرفتها وهي تفكر فيما حدث، هل كانت تحلُم؟! هل هو كابوس؟! من هذا الشخص المتطفل؟!

ربما كان وهم أو ما شابه ذلك.

استلقَت على السرير، ووضعَت السكين بجوارها، بعد قليل نامت، ثم هبَّت واقفة عندما شعرت بأصابع تعبث في شعرها!

لقد كان هو.. أمسكَت بفستان وجدتْهُ أمامها لتغطي به جسدها، كان يتطلّع إليها مباشرة وهو يبتسم لها، غطَّت جسدها ثم هتفَت في ذُعر:

- كيف استطعتَ الدخول إلى الحجرة؟! إذا كنتُ تريد النقود سوف أعطيك ما تريد، لكن اتركني وابنتي الصغيرة.

ضحك في سخرية، قبل أن يقول:

- لا توجد جدران تمنعني من الوصول إليكِ، أنا لا أريد نقودَكِ، على العكَس.. سوف أحضر لكِ مجوهرات وحليّ لايوجد مثيلٌ لها.

هتفَت بصوت يملؤه الشكّ والريبة:

- من أنت؟! كيف يمكنكَ اختراق الجدران؟!

صمتَ قليلًا، ثم قال في هدوء:

- لقد أخبرتكِ مسبقًا، أنا زوجكِ.

هتفت بصوت عالٍ في غضب:

- أنا زوجة بالفعل، ولا...

ابتلعَت الكلمات في حلقها بعد أن رأَت عينيه تشتعلان بالغضب الشديد!

هتف في انفعال:

- ألم أخبركِ بعدم التحدث في هذا الأمر مرة أخرى؟

اقتربَ منها وحاول وضع يده عليها، إلا أنها تراجعَت في رعب، ولم تلبَث أن انهارت فاقدة للوعي مرة أخرى.

بعد عدة ساعات استيقظَت لتجد نفسها على السرير مرة أخرى.

هبَّت سريعًا نحو غرفة ابنتها، لم تكن هناك!

اندفعَت كالمجنونة تفتّش عنها المنزلَ كله، وأخيرًا وجدتها في الشرفة، تنفسَّت الصعداء واحتضَنَتْها.. انسابَت دموعها وهي تربت على كتفها وتقول:

– حمدًا لله أنكِ بخير، لماذا غادرتِ الفراش؟! الطبيب أمر بعدم تعرّضكِ للهواء البارد، ونحن..

فؤجئَت (رودينا) بهذا التصرف الغريب، إلا أنها أجابتها:

– لقد مللتُ من النوم، وأردتُ رؤية الشارع، كما أن صديقي الجديد أخبرني أنه سوف يحرسني.

هتفَت متسائلة في جزع:

– صديقُكِ الجديد! من هو هذا الصديق؟! وكيف يحرسكِ وهو في منزله؟!

أجابتها:

– إنه ليس في منزله، لقد كان بالقرب مني، هنا في منزلنا.. وبالرغم أنه يكبرني بعدة سنوات إلّا أنه يلعب معي، وأحضر لي بعض الحلوى الملونة.. انظري ها قد حضر.

ثم أشارت بيدها؛ فالتفتَت سريعًا لتجده خلفها.

أمسكَت ابنتها بيدها وضمَّتها إلى صدرها، وهي تقول في فزع:

– ماذا تريد من ابنتي الصغيرة؟! لماذا لَم...

قاطعها في هدوء:

- ابنتكِ هي ابنتي، لن أمسها بسوء أبدًا، لقد أصبحنا أصدقاء.

أكمل وهو يشير إليها:

- أليس كذلك يا صديقتي؟!

أجابته الصغيرة ببراءة الأطفال:

- نعم، لقد أصبحنا أصدقاء جدد.

هتفَت (إيناس) في لهجة جنونية:

- هذا الشخص ليس صديقك.. هذا الشخص لا نعلم من هو.

نظر إليها في غضب شديد، ثم هتف بلهجة حادة:

- لقد انتظرتُ طويلًا حتى ترضخي للأمر الواقع، لكن من الواضح أن الطِّيبَة لن تؤتي ثمارها معك.

فجاة أُسدِلَت الستائر وأظلمَت الشقة تمامًا، لم تكن هناك إضاءة إلا نظرات عينيه التى تشع ضوءًا أحمرَ قانٍ.. لون الدم!

صرخَت (إيناس) بأعلى صوت، لكن ما من مجيب، نظر إلى الحائط فظهرت عبارة، "(إيناس) زوجتي وحدي.. ولن أتركك مهما كان السبب، لن يستطيع أحد الصمود أمامي، ولن أتنازل عنكِ لأي سبب".

بمجرد أن قرأت العبارة السابقة انهارَت وافترشَت الأرض، حتى أن (رودينا) ارتطمَت بالأرض، قبل أن تتمالك نفسها وتقول بنبرة يسيطر عليها اليأس:

- من فضلكَ اختر زوجة أخرى، وارحل عنا واتركنَا لشأنِنا.

فجأة ظهر جسم لامع متألق أضاء الحجرة، ثم تبدّلَت ملامح وجهه، وارتسمَت على شفتيه ابتسامة ساخرة، قبل أن يهز رأسه في قوة مضيفًا:

– ألم أخبركِ من قبل أنني لن أتنازل عنكِ أبدًا؟

التصقَت بالحائط وهي تحضن (رودينا)، وأجابته في انفعال:

– وأنا أخبرتكَ مسبقًا أني متزوجة بالفعل، كيف تريد الزواج مني؟! هل فقدتَ عقلك لتتزوج امرأة متزوّجة بالفعل؟!

ضحك في مرح قائلًا:

– تصحيح.. أنا لا أريد أن أتزوجكِ؛ لأني زوجكِ الوحيد.

هتفَت بكل ذعر الدنيا:

– ماذا تقول؟! زوجي الوحيد! زوجي الوحيد هو (أحمد).

أشاح بوجهه وزمجَرَ بصوت عالٍ، ثم أشار بيده إلى الهواء؛ فسقط جسد رجل ما، كأنما ظهر من العدم..

أمعَنَت النظر فيه قليلًا.. كان هو زوجها!

(أحمد) زوجُها ملقى أرضًا ومكبّل اليدين والقدمين، اندفعَت كالمجنونة تجاهَهُ وحاولت أن تهزّه، إلا أنه لم يستجب لها، صرخت في ذعر:

– زوجي، ماذا أصابك؟!

حينها اندفَع تجاهها وهو يقول بلهجة حادة غاضبة:

– لقد كان هذا يقف حائلًا بين قبولكِ فكرة الزواج مني؛ لذلك قررت التخلص منه.

ثم انقضّ عليه ومد يده إلى صدره، وانتزع قلبه.

فغرت فاهها.. انحبَسَت الكلمات، أما هو فقد أمسك قلبه بيده، وهو يقول في صرامة:

- الآن أصبحتُ زوجكِ الوحيد وليس هو، هل استوعبتِ الأمر؟!

انهمرَت دموعها غزيرة مصحوبة برجفة انتابتها، وهي تقول بصوت حزين:

- لماذا قتلته يا مجرم؟

صمتَ لحظات قصيرة، ثم نظر إلى (رودينا) نظرة ذات معنى واضح..

لأول مرة في حياتها تواجه هذا الموقف، كيف يمكن أن تتصرف؟!

اقتربَت ببطءٍ شديد وأمسكت بابنتها، ثم انطلقَت تجري سريعًا نحو باب الشقة، لكنها فوجِئَت به مغلقًا، تراجعَت خطوة للخلف وانطلقَت إلى غرفة النوم وأغلقَت الباب جيدًا، ثم جلسَت على السرير وشاهدَت السكين بجوارها؛ فأمسكتها بقوة بيدها اليُمنَى وتحتضن ابنتها باليد الأخرى، مرّت عدة دقائق ولم تلبَث أن هدأت أعصابها قليلًا، وفجأة سطعَت الأنوار في الغرفة بصورة قوية أجبرَتْها على إغلاق عينيها، وحينما فتحتهما وجدته أمامها!

حينها لم تتمالك نفسها ووضعت (رودينا) على السرير، وهبَّت تقف أمامه وهي تقول في تحدٍّ:

- لن أدعك تمسّ ابنتي بسوء، ربما تكون قتلت زوجي.. لكن لن أستسلم لكَ، لن أكون لقمةً سائغة لك.. ارحل عنا واتركنا لشأننا.

لوّحَت بالسكين في وجهه لعلّه يتراجع، إلا أنه ابتسم وهو يقول في مرح:

- يمكنكِ أن تحاولي، لكن لن تنجحي.

رفعَت السكين وحاولت دفعها في صدره، إلا أنها فوجئَت بأنه لم يتحرك قيد أنملة، وعندما دفعتها في صدره أصابَت الهواءَ فقط.

كلّما حاولت طعنه كان يضحك في سخرية لاذعة، سمعت صوتَ فحيح مفزع رهيب، ثم هتف بصوت كأنه يخرج من أعماق الجحيم:

- لن تنعمي بالراحة والسّكِينة والطمأنينة أبدًا.

فوجئَت بانفجار مصباح الغرفة وتساقط الزجاج على رأسها ورأس ابنتها؛ مما أجبرها على إغلاق عينيها، وعندما فتحتهما وجدتْهُ أمامها، كان هناك ضوء خافِت يأتي من شباك الغرفة، لم تلبَث أن استجمَعَت رباطة جأشها ودفعت السكين في صدره.

سمعت صوت صرخة ابنتها، وعندما أمعنَت النظر جيدًا، كانت السكين قد اخترقَت قلب فلذة كبدها، وسمعت صوت ضحكة شيطانية..

خبيثة..

ماكرة..

اخترقَت أذنها، برقَت عيناه بشكل مخيف وهو يتمتم بلهجة المنتصر:

- الآن فقط يمكنني الانصراف، وداعًا يا زوجتي.

ثم أطلق ضحكة ساخرة خبيثة، ثم انصرف عبر الجدار.

لم تصدق ما حدث، أمسكَت جثة ابنتها وهى تقول في فزع:

- مؤكد أن هذا كابوس، لا يمكن أن يكون حقيقة.

ثم حملَت ابنتَها وخرجت إلى غرفة المعيشة، لقد أسلمَت الروح بالفعل، صرخت بأعلى صوت، وهذه المرة سمعها الجيران؛ فاندفعُوا وكسّروا باب الشقة؛ ليجدوها تفترش الأرض وجثة (رودينا) على قدميها وهي تصرخ وتولول، لم تتحدث سوى بكلمات بسيطة:

- زوجي قتله شبح.. وأنا قتلتُ ابنتي.

أبلغ الجيران الشرطة، التي حضرَت على الفور ووجدَت جثة (أحمد)، لم يستطع أحد استجواب (إيناس)، لم تكن تتحدّث سوى تلك الكلمات السابقة؛ لذلك تم إيداعها مستشفى الأمراض العقلية والنفسية.

بعد مرور عدة أيام، ذهبَت (سماح) لزيارتها، وعندما دخلت حجرتها نظرت إليها في تشفٍّ وهي تقول بلهجة المنتصر:

- على الرغم من فقدانك عقلكِ وعدم إدراككِ أو شعورك، إلا أنني لم أكن أفوت تلك اللحظة أبدًا، لحظة الانتصار؛ فأنا من رتّبتُ لكل هذا، لقد حذرتكِ مرارًا وتكرارًا من خطوة زواجكِ من زوجي السابق، لم تتوقّفي عن اللهث وراءه، ولم تكتفي بما تركَهُ زوجكِ السابق، لقد أردتِ كل شيء.. المال والزوج والأطفال، لكن الله لا يعطي للإنسان كل شىء، فبعد أن أحبّكِ وصارحني أنه يريد الزواج منك وخيّرني بين الطلاق وبين الزواج منكِ وأُصبِحُ زوجة على الهامش، رضختُ للأمر الواقع وتقبّلتُ زواجه منكِ، لكنكِ لم تكتفي بهذا؛ فبعدة عدة أشهر من زواجِه منك أرسل لي ورقة الطلاق.. ورفض الانصياع لصوت العقلاء، ورفض رجوعي إليه، ورفض دفع مصاريف أطفالنا؛ فما كان مني إلا البحث عن عملٍ لكي أتولّى الإنفاق على أطفالي، فبعد أن كنت أجلس في المنزل أنتظر عودته أصبحتُ أخرج كل صباح إلى الشركة وأعود في المساء، وأصبحتُ أنتظر يوم الأجازة بفارغ

الصبر؛ لكي أقضيه في النوم؛ لذلك كان لابد من دفع ثمن ما اقترفَتْهُ يداكِ، لقد تقصّيتُ وعلمتُ بذهابكِ إلى دجال؛ لذلك ذهبتُ إلى نفس الدجال الذي وضع خطة زواجك من (أحمد).. ودفعتُ له ثمنًا مضاعفًا، وأخبرته بما أريد وتكفّل هو بوضع تلك الخطة، الآن يمكنني أن أحيا، كما أن أطفالي الصغار أصبحوا الورثة الوحيدين لزوجي السابق، بعد إيداعك مستشفى الأمراض العقلية والنفسية.

أخرجَت من حقيبتها علبة سجائر وأشعلت سيجارة، ونفثَت دخانها في عصبية شديدة، وهي تقول في سخرية:

- بعد كل ما ذكرتُه يمكنني أن أخبرك أن مجيئي إليك الآن؛ لأنني أردتُ التشفّي.

ثم أطلقت زغرودَة بصوت عالٍ..

و ضحكت بصوت عالٍ للغاية..

ضحكات هيستيرية..

جنونية..

حضر الطبيب سريعًا ليجدها ترقص وقد خلعَت بعض ملابسها، وتقفز وتجري في الحجرة، وتقول بصوتٍ عالٍ:

- أخيرًا انتقمتُ منها.

تمكّن هو وبعض الممرضات من السيطرة عليها، وبعد توقيع الكشف الطبي عليها، أمر بإيداعها الحجرة المجاورة لحجرة (إيناس).

(5) الأرض الملعونة

– هل يمكن أن ترشدني إلى متجر (عالم الخيال) لبيع الهدايا الترويجية الجديدة؟ هل تعلم أين يقع؟

ألقى (رامي) هذا السؤال للمرة العاشرة على أحد المارة، والإجابة الوحيدة التى يسمعها: لا نعلم أين. حتى سئِمَ من تلك الإجابة الوحيدة، ويئِسَ من العثور عليه، لكنه لن يستسلم، سوف يواصل البحث عنه حتى يجده.

– أنا أعلم أين يقع.

نطقها أحد الشباب، الذي كان يستمع إلى سؤاله، أجابه في لهفة قائلًا:

– أحقًا ما تقول؟! هل تعلم أين يقع متجر (عالم الخيال)؟

نظر له في ثقة، وابتسم قائلًا:

– نعم أعلم طريقه، ولكنه بعيد نسبيًا.

أجابه بسرعة:

– معي سيارة كما ترى، والوقت.....

قاطعه وهو يقول:

– أخشى أن تضلّ الطريق؛ لانه طريق متعرج وعِر، لكن يمكنني مساعدتك وإرشادك إلى الطريق.

فتح باب السيارة، وجلس بجواره وهو يقول:

- انطلِق والزَم الطريق الأيمن، ثم انحرِف يسارًا.

اندهَش كثيرًا من تصرفه الجريء، إلا أنه خشي أن يرفض عرضه ويضل الطريق، كما أنه لا يطيق صبرًا للذهاب إلى المتجر، بعد أن شاهد هدايا رائعة، وغير متوقعة، وغير تقليدية.

تجاهل ما حدث، ومضَى في طريقه مسرعًا نحوه..

متجر (عالم الخيال).

عشر دقائق مضت وهو يستمع إلى تعليماته بخصوص الطريق، حتى هتف:

- توقف أمام ذلك المنزل.

توقّف أمامه بالفعل، وهو يتفحص المكان جيدًا، كان مكانًا مقفرًا يخلو من المارة.

هبط مسرعًا من السيارة وهو ينظر إليه في دهشة متسائلًا:

- أين المتجر؟! هل هو في شارع جانبيّ؟!

ابتسم وهو يشير إلى باب منزل متهالِك قائلًا:

- المتجر من هذا الطريق، أغلِق السيارة واهبط.

هبط بالفعل من السيارة، وتأكّد من إغلاقها جيدًا حتى لا يسرقها أحد اللصوص، وانطلق خلفه.

بدلًا أن يصعد هبط إلى طابق تحت الأرض، وهو يشير بإحدى يدَيْه أن يتقدم، هبط خلفه، كان المنزل مقفرًا.. رائحته عطنة، سد أنفه بمنديل مبلّل، ثم أكمل الهبوط حتى وجد أمامه بابًا عليه لوحة مستطيلة، مكتوب عليها (عالم الخيال)، لم يصدّق نفسه.. أخيرًا عثر

عليه، سوف يبتاع منه الكثير من الهدايا الرائعة، لقد استعدّ جيدًا وأحضر معه مبلغًا ماليًا كبيرًا، دفع الباب بيده ودعاه للدخول، بمجرد أن دخل حتى أُغلِقَ الباب، كان المكان يعجّ بالهدايا واللوحات الجدارية الرائعة، أخيرًا وجد ضالته.. تقدم مبهورًا نحو الهدايا.

فجأة..

وجد أمامه أكثر من خمسة أشخاص يشهرون المسدسات!

اعتقد أنها دعابة.. وأنها مسدسات صوت، لولا أن الشخص الذي أحضره معه قال في زهوٍ وتباهٍ:

– أرجوكَ لا تقاوم، نحن مسلحين ولن يمكنكَ التغلّب علينا؛ لذلك أنصحك بالاستسلام وعدم المقاومة.

ألجمَتْهُ المفاجأة، نظر إليهم كانت ملامحهم تنطلي عليها الجدّية الشديدة، لم يصدق ما حدث.. بالطبع لن يستطيع الهروب؛ فهم يفوقونه عددًا وتسليحًا، لم يكن أمامه إلا الاستغاثة، بالفعل صرخ بأعلى صوت قائلًا:

– أنقذوني.

أجابته ضحكاتهم الساخرة، ثم هتفَ كبيرهم:

– يا لَكَ من ساذج، نحن تحت الأرض، مهما صرخت بأعلى صوتٍ لن يجيبك أحد.

ثم ألقى المسدس إلى أحد من اللصوص، ثم استطرد قائلًا:

– أعدكَ بإعادتك سليمًا معافى بدنيًا إذا لم تبدي أية مقاومة، كما أننا سنقوم بإيصالك على الطريق الصحيح، أما لو قاومتَ وسبّبتَ لنا إزعاجًا أعدكَ بإعادتك أجزاءً.

انتفضَ جسده بعد هذا الموقف، لم يكن أمامه إلا الاستسلام بعد أن أدرك عدم جدوى المقاومة؛ لذا رفع يديه تحت ضغط الأسلحة وهو يشعر بالذل والهوان.

انقضّ الجميع على يده اليمنى كبّلُوها ثم تلتها يده اليسرى، ثم فوجِئَ بأحدهم ينقضّ عليه، ويغرس أنيابه في رقبته.

قبل أن يفقد الوعي هتف بكل غضب وهو يترنح:

- هذا لم يكن اتفاقنا.. لقد...

لم يشعر بشيء.. فقد الوعي.

استيقظ بعد مرور ثلاث ساعات، كان مكبّلَ الأيدي والأرجل، ومكمّمَ الفم وملقَى على منضدة مستطيلة، وجميع اللصوص بجانبه يبتسمون ابتسامة خبيثة، ثم اقترب منه زعيمهم وهو يقول:

- لقد كنتَ تنشدُ متجر (عالم الخيال) حتى تستطيع شراء الهدايا الجديدة والغير تقليدية، هل هذا صحيح؟

لم يكن باستطاعته التفوّه بكلمة، فهز رأسه بالإيجاب.

أطلق ضحكة طويلة، في حين انعقد حاجبه بشدة، ثم اقترب ببطءٍ شديد وهو يشير بإحدى يديه نحو رجاله، الذين اقتربوا أكثر.. وهم يُمنُّون أنفسهم بوجبة شهية، فجأة تحطم باب المنزل واندفع منه خمسةٌ من أصدقائه، سمع صوت طلقات نارية وأصوات تحطم الأثاث وعراكٍ بالأيدى بينهم، حاول الالتفات ليشاهد ما يحدث، إلا أن موقعه لم يكن يسمح له بذلك، صرخ بصوتٍ عالٍ:

- (حاتم)، أنا هنا.. تعالَ لتحررني.

اندفع تجاهه صديقه العزيز، وهو يقول متسائلًا:

- هل أصابك هؤلاء الأوغاد؟

تهلّلَت أسارير وجهه وهو يهتف:

- لماذا تأخرت؟! لقد كادوا أن يفتكوا بي، لكن لحسن الحظ كلّها إصابات سطحية. فُكّ وثاقي يا صديقي أولًا.

استجاب صديقه لمطلبه وحَلّ وثاقه، اعتدل وجلس ليشاهد اللصوص بجانبه وجميعهم مقيّدين.. وأفواههم مكمّمة..

ابتسَم وهو يقترب منهم رويدًا رويدًا.

هتف صديقه (رامي) في سعادة:

- حمدًا لله على سلامتك يا صديقي، هل حدث لك مكروه؟

أجابه وهو يمسك يده؛ ليشاهد بعض الكدمات والسجات، وبعض الدماء التى تسيل من جرح غائرٍ في رأسه، ثم هز رأسه بالإيجاب، وهو يهتف في حماس:

- لا يهم ما حدث، هيا بنا لنكمل ما بدأناه.

اندفع نحو زعيمهم وهو يكِيلُ له اللكمات، ثم انتقل إليهم جميعًا حتى اكتفى، بعد أن أفرغ ما بداخله من انفعال وشحنة غضب، بالطبع لم يحرّك أصدقاؤُه ساكنًا. جلس يستعيد ذكرياته القريبة وما آلت إليه الأمور حتى وصلت إلى هذا الحد.

كان صديقه (وليد) مُولَعًا بالتكنولوجيا، كان جُلّ همه الوحيد الحصول على أحدث المبتكرات، حتى عثر على متجر سرّي لبيع الهدايا والتذكارات السياحية والمبتكرات، وأحدث الهدايا من جميع أنحاء العالم، بالطبع كان كنزًا له، لقد شاهد ما خبَلَ لُبّه من أشياء لم

يتوقعها، كان كل ما يقف أمام طموحه في اقتنائها هو ارتفاع سعر تلك الهدايا؛ لذا أقبل على اقتراض النقود حتى يتمكّن من شراء كل ما أعجبه من تلك الهدايا التى طالما رغب باقتنائها، انتظر شهرًا بأكمله حتى جمع مبلغًا ماليًا كبيرًا، كنت صديقه الصدوق وكاتم أسراره، وعندما أخبرني بما عزم عليه حذّرتُه من مغبة الذهاب وحده، خاصّةً أنه متجر سري، لكنه لم يستمع إلى تحذيري، سيطرَت عليه الرغبة الجارفة في اقتناءِ تلك المبتكرات، حتى أصبح مهوسًا بها، وبعد اكتمال المبلغ المطلوب طلب مني مرافقته إلى المتجر، لكن لم تسنَح الفرصة بسبب مرض زوجتي؛ فذهب وحده، على وعد بمرافقتِه المرة القادمة، وانتظرتُ طويلًا لكي أطمئن عليه، مرت فترة طويلة ولم يهاتفني، طلبته لم يكن يُجِيب على هاتفه المحمول، وبعد فترة وجيزة أغلق الهاتف، بحثتُ عنه طويلًا لكن لم أجده؛ لذلك بحثتُ عن ذلك المتجر لكي أطمئنّ عليه، ثم هتف في صرامة:

- أين (وليد)؟

فجأة ظهرَت قطة في وسط الحجرة..

كأنها ظهرَت من العدم..

القطّة لونها أبيض وتوجد بعض الخطوط السوداء، لكن اللون الغالب الأبيض، القطة تقِف في شموخ وكبرياء، نهرَها لعلّها تتراجع، كانت نظرات عينيها كلها تحدٍّ، شعر (رامي) بالخوف الشديد، (حاتم) هو الآخر نهرها في قوة، لكن لا تزال موجودة في مكانها لم تتحرك قيد أنملة، أخذ يلوّح بيده في قوة وسرعة، لكن الوضع كما هو..

لوّح (رامي) بيده هو الآخر نحوها، لم تتحرك، فجأة انطلق مواءٌ من مكان قريب للغاية، الصوت يتزايد.. يقترب رويدًا رويدًا.. أصوات قطط كثيرة!

تلفَّتَ حوله لا يشاهدهم، إذًا من أين يأتي؟!

فجأة هجم القط اللعين على قدم (حاتم).. حاول أن ينبش مخالبه بها.

صرخ (حاتم) في فزع وهلع، خاصة أنه يخشى كثيرًا من القطط والكلاب، حاول التخلص منها لكنّها ما زالت تنبشُ مخالبها في قدمه.. تعلقت في البنطلون.

تلفّتَ حوله أمسك أول شيء أمامه، ثم قذَفَها تجاه القطة، ارتطمَت في جسدها، لم يبدو عليها التأثر من اللّطمة!

حاول جاهدًا إبعادها عنه، ما تزال تنبشُ مخالبها في قدمه، حاول حاتم أن ينفضَ قدمه، لكنها تمسك في البنطلون الجينز بمخالبها القوية.. مخالبها كأنها كلّابات قوية!

هتف (حاتم) في رعب:

- أنقذني يا (رامي) بالله عليك!

وجد أمامه سكينَ مطبخ كبير الحجم، أمسكَها وهو يلوّح بيده تجاهها، تجاهلته تمامًا.. لم تلتفت تجاهه، فجأة توقفَت عن نبش قدم (حاتم)، التفتَت تجاه (رامي) وحدجته بنظراتها الشرسة!

لم يبالِ بنظراتِ عينيها المتوحشة، أخذ يلوّح بالسكين، بدأَت تقترب منه.. الخوف يتملّكه.. أفلت السكين منه دون قصد، وقعَت على الأرض ثم ارتطمت بجسدها، سمع أبشعَ صوت.. صوتٌ أجشّ، كان صوتها يختلف عن صوت مواء القطط، بدأَت تتلوّى في الأرض من آثار الطعنة.. بدأت في النزيف، ما هذا؟!

إنها دماء سوداء اللون!

فرغ فاه (حاتم)، القطّة بدأ لونها يتغير تدريجيًا!

اكتسَت باللون الأسود، كان اللون الأسود يزحَف ويغطي جسدها بالكامل، لم ينتبه (حاتم) أن نقطة من الدماء سقطَت على قدمه، نفس ما حدث في جسد القطة، اللون الأسود زحف على قدمه.. تحول جسده.. الدماء بدأت تتجمع مرة أخرى!

فجاة سقط (حاتم) على الأرض!

لمحَهُم، شاهد مئات من القطط.. عيون كثيرة، تحيطُ بهِم من كل جانب، عيون شرسة.. شريرة.. فجأة..

لمح دماء (حاتم) الحمراء تغرق الأرض، لابد أنه أصيب إصابة بالغة.

بدأت الدماء تتحوّل إلى اللون الأسود! ثم بدأت تتحول إلى قطط سوداء اللون صغيرة... مئات من القطط الصغيرة!

ثم هجمَت عليه.. نشبَت مخالبها في جسده، ما هي إلا لحظات قصيرة حتى كان جسده تحوّل إلى هيكل عظمي فقط، لم يتبقّ منه إلا العظام فقط.

ثم التفتَت تجاه (رامي)، وتقدّمَت نحوه في بطء شديد، حاول التراجع إلا أنها حاصرته، فلم يجد منفذًا للهروب، توقّع أن تهجم عليه، لولا أن أشار القط الأسود بإشارة من يده؛ فتوقّفَت تمامًا، ثم حدث أغرب شيء أمامه، لقد هتف القط:

- مرحبًا بكَ يا صديقي.

لم يستوعب (رامي) الأمر، ثم هتَفَ بصوت متحشرج متسائلًا:

- صديقك؟! من أنت؟!

خُيّل إليه أن القطَّ يبتسم قائلًا:

– ألا تعرفني؟!

ثم حدث أمر في غاية الغرابة، لقد تحوّل جسده من قطة إلى شخص..

شخص يعرفه جيدًا، كان صديقه (وليد)!

فغر فاه (رامي) وألجمته المفاجأة قبل أن يستوعب الأمر، وهتف في لهفة:

– صديقي العزيز، كيف حالك؟! لقد بحثتُ عنك طويلًا حتى توصلتُ إلى هذا المكان.

ابتسمَ (وليد) ابتسامة خفيفة، وهو يقول في هدوء:

– أشكرك على مجهودكَ الرائع، لكن لم يجِب أن تبحث عني.

همّ أن يسأله لولا أن تذكر صديقه (حاتم)؛ فأشار على هيكله العظميّ، وهتف في غضب:

– لماذا قتلته؟! لقد كان يساعدني في البحث عنكَ.

انطلقَت ضحكة عالية.. ساخرة.. مستفزة ، قبل أن ينظر إلى الهيكل العظميّ وهو يقول:

– للأسف الشديد لقد ورطته في الأمر، وكان لابد من التخلص منه.

علَت وجهه علامات الدهشة، قبل أن يهتف متسائلًا:

– لماذا؟! هل هذا جزاء المعروف؟! ثم ما الذى حدث منذ قليل؟! كيف تحوّلتَ إلى قطة؟!

أجابه بسرعة:

- سوف أقصّ عليك الموضوع، لقد حضرتُ إلى هنا واقتنَيتُ كل الهدايا التذكارية والمنتجات الرائعة، وعندما هممتُ بالخروج قابلني مدير المكان، ثم أمسك بي ووضعني في قفص حديد، حاولتُ الهروب لكن فشَلتُ، عندها حضر وأطلعني على سرّه، وهو أن هذا المكان لا يتبَعُ سطح الأرض.. بل هو تابع لباطن الأرض، وكل ما تراه من قطط هي في الحقيقة مخلوقات تسكن باطن الأرض، ويمكنهم التحول إلى قطة أو رجل أو امرأة، وخيّرني بين الانضمام لهم أو أصبح غذاءً لهم، لم يكن لديّ اختيار؛ ففضّلتُ الانضمام لهم، وبعد ذلك حقَنني بعقارٍ طبّي حتى أكتسب القدرة على التحول، وصحبني إلى باطن الأرض، ولا أخفيك سرًا.. لقد انبهرتُ بالتكنولوجيا والأجهزة الحديثة التي لا مثيل لها على سطح الأرض، لكن تبقَّت مشكلة واحدة فقط.. الغذاء؛ فنحن لا نتغذّى على البقوليات أو الخضروات، غذاؤنا الوحيد هو البشر، لقد تم إنشاء هذا المكان لصيد البشر والتغذية عليهم، كل ما تراهم أمامك من سكان الأرض وتم حقنهم بذلك العقار.. لقد تم استدراجهم إلى هنا ولن نستطيع المغادرة؛ لأن هذا العقار له آثار خطيرة؛ فهو ما زال في طور التجارب، فنحن لا نستطيع الخروج في ضوء الشمس؛ لذلك ننتظر ليلًا للخروج لاصطياد الغذاء.

توقَّف لحظات لالتقاط أنفاسه، قبل أن يتمتم في أسَى:

- للأسف الشديد يا صديقي العزيز لن أستطيع السماح لك بالخروج، لا يوجد سوى حلٍّ وحيد.

هتف (رامي) في جزع:

- ما هو؟!

أجابه سريعًا:

- الانضمام إلينا.. فإما هذا الحل وإما تصبح غذائنا.. ما رأيك؟

ألجمته الصدمة، فلم تستطع قدماه حمله، افترش الأرض وهو يفكر في الهروب، لكن ما أن شاهدهم يحيطون بهِ إحاطة السوار بالمعصم؛ فلم يجد بُدًّا من الاعتراف بهزيمته، نكس رأسه وهو يتمتم:

- دعني أعترف بهزيمتي، حسنًا سوف أنضم لكُم.

تهلّلَت أساريره وهو يقول في سعادة:

- مبارك لك يا صديقي العزيز، لن تندمَ على اختيارك؛ فسوف ينضم كل سكان الأرض بعد فترة وجيزة.

(6) جليسة أطفال

تعمل (كيت شيرمان) لدى عائلة السيد والسيدة (فهمي) جليسة أطفال منذ ثلاث سنوات؛ لذلك يمكن القول إن (تامر) ابن الزوجين (فهمي) يعتَبِر (كيت) أختًا كبرى له.

كانت الساعة السابعة في إحدى مساءات شهر فبراير الباردة في (نيويورك)، وقد غادر الزوجان منذ السابعة.

تركا طفلهما في رعاية (كيت) بعد أن أعطياها -كالعادة- لائحة طويلة من التعليمات؛ فرغم أن السيد (فهمي) سخيّ جدًا، إلا أن زوجته صارمة حازمة، على نحو يُذكّر (كيت) بأستاذة التاريخ السيدة (بيرينز) المتديّنة، التي تمقتُ كل بنات الفصل، وتعتبر كل واحدة منهن مشروع خطيئة.

لم تأبه (كيت) كثيرًا لتعليمات الأم التي لم تفتَأ تُملِيها على مسامعها كل مرة -على نحو يجعلها تحسّ بنوع من العقاب- وهي تسمع نفس النصائح والأوامر واللاءات، ربما لأنها تعوّدَت على أن تعقد اتفاقًا سريًا مع (تامر).

لكن (تامر) هذه المرة مريض، أوصَت السيدة (فهمي) بترك الفتَى ينام بهدوء؛ لأنه محموم، وقد تفهمت (كيت) الأمر، خاصة وقد أسرّ الزوجان إليها بأنهما ذاهبان إلى صديق للعائلة تمكّن من العثور لهما على دمية نادرة للبطل الخارق الذي يشاهد (تامر) مسلسله، تلك الدُّمَى التي تصدر في مناسبات حصرية وبعددٍ محدود.

(تامر) لم يتمنّ منذ مدة سوى الحصول على الدمية؛ فكيف لا يهديانها له بمناسبة إتمامه السنة السابعة غدًا؟

لكم تحسِدُ (كيت) الفتَى على والديه؟ غدًا عيد ميلاد الشقيّ؛ إذًا يجب عليها أن تفكر بدورها في هديّة مناسبة.

صعدَت، فور مغادرة السيد والسيدة (فهمي)، إلى أعلى على أطراف أناملها تُلقِي نظرة على الفتى النائم، قبل أن تقفل الباب بحذرٍ وتهبط درجات السلم نحو الصالة. شغّلَت جهاز التلفاز واختارت القناة المفضلة لديها منتبهة إلى خفض الصوت ما أمكن.

لكن الملَلَ سرعان ما تسلّل إلى نفسها، لم تكد تمر ساعة حتى شرعَت تتململْمَل في مكانها، كانت قد تعوّدَت على قضاء الوقت في ألعاب مسلية مع (تامر)، رغم أن الفتى ليس من سنّها، ولو علمت صديقاتها لسَخِرْنَ منها شامتات.

أطفأت جهاز التلفاز، وبحثت في رفّ مكتبة عن كتاب جديد تقرأه، لكنها لم تعثر سوى على روايات سبَق وتصفّحَتْها، وأخرى باللغة العربية لم تفقَه فيها حرفًا.

فكّرت بزيارة البيت غرفة غرفة، ثم عدَلَت عن ذلك؛ فهي تحفظ البيت عن ظهر قلب، أكثر من خمسين ليلة في هذا المكان وتستطِيعُ رسم خريطة تفصيلية لو شاءت.

كان المبرّد -كما تعوّدَت- مليئًا بالأكل والمشروبات، لكنها لم تشعر برغبة حقيقية، واكتفَت بتناول مثلجات، وهي تعود إلى الصالة، وتنظر بشرود إلى الجو بالخارج عبر نافذة المنزل التي يتسلّل منها ضوء القمر يخبرها بأن تستعد؛ فالليلة ستكون طويلة.

تنهدّت وهي تحاول التفكير في شيء يسلّيها، واهتدَت إلى تخيّل زملائها بالفصل، لاعبي فريق الفوتبول الأشدّاء، عراة كما ولدتهم أمهاتهم،

ويبدو أنها تاهت في تخيلاتها الشبقيّة؛ لأنها وثبَت وجلة عندما رن جرس الهاتف.

تجمّدَت لحظة في مكانها، قبل أن تنتابها نوبة ضحك، لكنها توقفَت عن القهقهة والرنين يتكرر غير مبال؛ فمدت يدها وأخرسته قائلة:

- ألو.

ظنّت بادئ الأمر أنها السيدة (فهمي) تتصل لتطمئن كعادتها، لكنها أمام الصمت المطبَق في الطرف الآخر اكتشفَت غير ذلك.

كررت:

- ألو.

لكنها لم تسمع سوى صدى صوتها.

"ما هذا السُّخْف؟" قالت لنفسها قبل أن تكرر لثالث مرة:

- ألو.. من يتصل؟! أجب أيها الوقح.

وانقطع الخط.

أبعدَت السماعة عن أذنها فجأة بحركة لا إرادية، وتجمّدَت عيناها لحظة، قبل أن ترتدي قناع الغضب، أحدهم أقفَلَ الخطّ في وجهها، أول مرة تشعر بوقْعِ ذلك.

"من يكون إذًا؟!" تساءلت بعد لحظات وهي تُحضّر علبة مثلجات ثانية تُطفِئُ بها غضبها، لو كان متصلًا بالخطأ لاعتذر على الأقل.

حاولَت تجاهل الأمر وعادت تشغّل جهاز التلفاز، واختارت قناة كوميدية، لكن المواقف التافهة لم تخطَف منها شبح ابتسامة واحدة.

ثم رنّ الهاتف من جديد.

- ألو.

كان هناك صوتٌ هذه المرة، شيء كالحشرَجَة غير الواضحة، وأنينٌ مريب أجفل (كيت) بحق، حتى أنها هي من قطَعَت الخط هذه المرة.

أيكُون صديقها (ماك) الذي يحبّ مشاكستها؟ لكنها لم تعْطِه رقم البيت.

توقّفَ تفكيرها بعد لحظات في منطقة مظلمة، إنها في الولايات المتحدة الأمريكية، وفي (نيويورك)، موطن مصاصي الدماء، المستذئبين، القتلة المتسلسِلِين وأكلة لحوم البشر.

هناك "أساطير حضرية" كثيرة صِيغَت حول جليسات الأطفال، استغلّتْها السينما في هوليوود، تعلم هذا.. وله ترتجف.

تذكُر أنها شاهدت الفيلم برفقة (ماك)، في أمسية من الأمسيات، لم تتابِع القصة تمامًا؛ لأنها كانت منشغلة بأمور أخرى مع فتاها في الصفوف الخلفية!

ماذا عليها فعله الآن؟! اتصلت بـ(ماك)؛ لتتأكد من أنه ليس صاحب المقلب، لكن هاتفه لم يكن يردّ، عاودت الكرة دون جدوى.

كانت في طريقها لتركيب الرقم ثالث المرات حين رنّ الهاتف مرة أخرى؛ فانتفضت برعب، وردت ببطء:

- ألو.. (ماك)؟
- سأقتلكِ إن لم تغادري البيت بسرعة، الآن.

قال الصوت الخشن آمرًا، فرمَت السماعة من يدها كما لو كانت جمرًا ملتهبًا، وأطلقت صرخة، لم تتوقّف حتى سمعت الأزيز المتصل الذي يشير لانقطاع الخط.

بحق الرب من يكون صاحب الصوت؟! كان صوتًا فظيعا جلجَلَ في أذنيها وبثّ فيها رعبًا لم تشعر به في حياتها.

هو قاتل أو متربص مريض إذَن، وهي في ورطة.

أسرعَت للهاتف تلتقِطُ السماعة الملقاة أرضًا وتُركّب رقم النجدة، لن تخرج من البيت حتى تحضَرَ الشرطة، لن تفعل ولو كانت مجرد لعبة يسخر بها أحدهم من جُبنِها.

هدّأت الشرطية بالطرف الآخر من روعِها، واستمعَت لقصتها بصبر وهدوء لم تنجح (كيت) في فهمه، قبل أن ترد:

– أنتِ متأكدة من أنكِ لم تُعطِ رقم البيت لصديقٍ لك، أو صديقة ما تحاول أن تستظرف معكِ؟

– لا أؤكد لكِ.. أنا في خطر.. أرجوكِ، إنه يهدّدنِي بالقتل إن لم أخرج حالًا من البيت.

– حسنًا اهدئي.. لن تخرجِي من البيت.. اتفقنا؟ هل اتصلتِ بمشغّلِيكِ؟

تذكّرَت (كيت) أن تلك النقطة فاتتها؛ فقالت بتردّد:

– لا.. في الحقيقة كنتُ خائفة ولم أفكر سوى في الاتصال بالشرطة.

– حسنًا فعلتِ، اسمعي يا (كيت).. لو اتّصلَ ذلك الشخص مرة ثانية.. حاولي تعطّلينه في الكلام قدر الإمكان حتى نتعقّب الاتصال.. فهمتِ؟

– نعم.

قالتها (كيت) وقد هدأ روعها قليلًا.

- أعطِني رقم هاتف مشغّلك، ولا تقلقي.. فقط نفّذي ما اتفقنا عليه.

أعطتها الرقم وعادت تجلس بعد الاتصال وقد بدأ التوتر يجعل جسدها يرتجف، كانت أعصابها مشدودة كالزنبرك. فكّرَت في (تامر) الذي ينام في الأعلى غير واعٍ بما يحصل، كم تحسده!

فجأة انتابها شعور بالخوف على (تامر)، وتذكّرَت أنها من شدة رعبها ممّا يحصل لم تصعد لتطمئن عليه، ولم تكد تقرر النهوض لتفعل حتى رن الهاتف من جديد، كم تمقَتُ الصوتَ المستفزّ اللامبالي؟

التقطَتْ نفسًا عميقًا، واستحضرت كلام الشرطية: عليها استدراج المتصل دقيقة على الأقل حتى يتمكنوا من تحديد مكانه، والتأكد من خطورة الأمر حقًّا.

- ألو.. من المتصل؟

- (حشرجَةُ صوت كأنه صادر عن اسطوانة مشروخة)... لقد قلتُ لكِ اخرجي حالًا من البيت أو أقتلكِ.

- (مرتبكة وخائفة).. لماذا ستقتلني؟ ماذا فعلتُ لكَ؟ من أنت؟!

في الواقع، لم تدرِ (كيت) كل الكلام الذي قالته، لقد قالت كل شيء تقريبًا، كانت يدها ترتجف وجسمها كاملًا وهي تحدّث قاتلها المفترض، داعية الرب أن تنتهي هذه الليلة المشؤومة بأقل الخسائر الممكنة.

أن تحضر الشرطة في ثوانٍ لتقبض على الرجل، وتحوّل جسده إلى مصفاة بالرصاصات، ولقد نجحَت في إبقاءه على الخط دقيقة كاملة.

لم تكَد تفعل حتى قفلَت الخط بنفسها، وقلبها يدقّ كسَرِينة المطافئ ليلة الحادي عشر من سبتمبر، وكاد يتوقف حين اهتز الهاتف البغيض مرة أخرى، لابد أنها الشرطية التي كانت معها على الخط منذ قليل، قالت (كيت) في نفسها ملتقطة السمّاعة.

– هل أنتِ متأكدة من أن لا أحد معكِ بالبيت؟

سألت الشرطية بهدوءها القميء.

– أنا والطفل الذي أقوم برعايته وحسب.. هل تتبعتُم الاتصال؟

قالت الشرطية بقلق:

– الاتصال من الخط الثاني بالمنزل!

بُهِتت (كيت) لحظات، لوهلة بدا أنها لم تفهَم كلام الشرطية، قبل أن يشرق شيء في ذهنها، وتقول ضاحكة:

– لقد فهمتُ الآن.. (تامر) الشقي، هه.. لقد نال مني الوغد، ادّعَى أنه مريض ونائم؛ لكي أسقط كالمغفلة في مقلبه.

– تأكدي من ذلك إذَن.. سنتصل بمشغّلك أبلغه بالأمر، ونرسل شرطيًا لمزيد من الحذر، غادري المكان فورًا لو شعرتِ بالخطر.

– حسنًا.

قالتها (كيت) وهي تقفل الخط، عقلها بدأ بالفعل يصوّر لها انتقامها من الطفل الشقي.. انتقامها الشنيع.

كشّرَت عن أنيابها وهي تضع سمّاعة الهاتف، ترسم وجهًا غاضبًا متوحشًا وتصعد الدرجات نحو غرفة الفتى، متوعّدَة بالويل والثبور، وعظائم الأمور.

وهي تصعد السلم تساءَلت في عقلها كيف وقَعَت في الفخ بتلك السهولة؟! أكان والدا الفتى مشتركين معه باللعبة؟! لأنهما أخبراها بأن الصبي مريض.

ثم كيف نجح في تقليد ذلك الصوت الفظيع؟

- (تاااامر).. (تاااامر).. اخرج لترى!

دخلَت غرفته وهي تفتح الباب ببطء، كان السكون قد غلّفَ المكان بغتة، وشعرت بأن الشقي سيختبئ خلف الباب محاولًا إخافتها.. محاولة أخيرة.

وهي لن تسمح له بإتمام انتصاره عليها، ولا بد أن تنتقم.

دخلَت الغرفة بحذر وهي لا تنفكّ تنادي الفتى.

بحركة خاطفة نظرت خلف الباب مطلقة صرخة، لكن لا أحدًا كان هناك، شعرت بالغيظ والغضب، لن ينجو الصبيّ بفعلته، حتمًا لن يفعل.

ضغطَت زر الإنارة، لكنه لم يعمل.. لا، لقد تجاوز (تامر) الحدّ، فكّرَت وهي ترسم على وجهها أقصى تعابير الغضب الممكنة، الصبي لم يكُن على الفراش أيضًا.

- اخرُج حالًا من مخبئِك يا (تامر).. لقد كشفتُ لعبتك.

كان شباك النافذة نصف مفتوح، وإزاء الصمت المطبق تسلل شكٌّ مفاجئ لنفسها الفتية، ماذا لو كان هناك شخصٌ ما حقًا؟

و (تامر)؟ أين هو؟

فجأة تحرك شيء ما في فضاء الغرفة الذي أخذ يتسلّل إليه ضوء القمر من النافذة التي فتحتها نسائم الليل في تلك اللحظة، مع صوت صرير خافت، لكنه بدا في ذلك الموقف وبالنسبة لـ(كيت) نذيرَ سوء.

ووقف جسدٌ ضئيل تحت النافذة تمامًا.

قالت (كيت) وقد فقدَت أعصابها حقًا على حافة انهيارٍ وشِيك:

- توقف يا (تامر)، وإلا أخبرتُ والِدَيْك.

لكن (تامر) تقدّم أمامها ببطء وهو يطلق ضحكات، صوته غريب بالفعل، أو أنه يتقنُ تقليد أصواتِ الاسطوانات المشروخة.

بدا وجهُه يتضّح تحت ضوء القمر الذي غمر الغرفة، كما لو طلّق أخيرًا غيمة شريرة حجبته طويلًا، كان الصبي يضحك فعلًا ضحكات طفولية، لا يدرك سرها سوى مَن هُم في سنه، لاحظت مبهوتة أن أظافره طويلة حادة، ويكشفُ عن فمٍ حيوانيّ بفكّ متوحش تتزاحم فيه أسنان منشارية بيضاء، كفَكّ قرشٍ مصغّر.

وقبل أن تفهم شيئًا انقضّ الصبي على (كيت) كقذيفة مدفع، تعلّق برقبة الفتاة يغرس مخالبه في لحمها، ويهوِي على جمجمتها بضربات هيستيريّة من فكه المنشاري، وبين كل ضربة وضربة أخذ يضحك.. يضحك.. يضحك.

صرخت (كيت) من الألم، محاولة إبعاد الوحش الصغير عنها، لكنه كان ملتحمًا بها، مخالبه عميقة في عنقها، والدم يسيل غزيرًا في ظهرها، شعرت.. وهي على مشارف فقدان الوعي على الأقل، بلسان هائل يخرج من الفم الحيواني، لسان رطب لزج ساخن، رأَتْهُ بطرف عينها الملتاعة، يخرج من فم الصبي كأخطبوط هائل يقترب من أنفها بإصرار، قبل أن ينغَرِس فجأة في فمها يكتم صرخاتها ويخنقها، وشعرَت بالغثيان والشيء الكرِيه الحيّ، الذي كان أكثر من لسان، يلتهمها من الداخل كأفعَى (موراي) ضخمة.

كانت تسقط أرضًا في تلك اللحظة، بعد مقاومة فاشلة، وعيُها بدأ يتسرب منها مغادرًا بلا رجعة.

حين رأت الزوجين (فهمي) يدخلان كقردين متوحشَّيْن من النافذة المفتوحة.

كان تعبير وجه السيد فهمي مخيفًا وهو يقول:

– للأسف يا صغيرتي، كنتِ أنتِ هدية ابننا (تامر)؛ فالفتى يكمل الليلة تحوّلُه ليصبح واحدًا منّا.. معشر الغيلان، لقد اتصلَت بي الشرطية وأخبرتني بكل شيء، يبدو أن (تامر) أراد إنذَارَكِ وهو يقاوم بدون جدوى تحوّله الحتميّ... وداعًا يا صغيرتي.

(7) بيلماون

ضربَت (ميشيل) على المقود بانزعاج وهي تقود سيارتها الصغيرة وسط شوارع (الدشيرة)، المدينة القديمة بـ(أگادير)، والتفَتَت لزوجها (فريديريك) قائلة:

- لقد قلت لك لا تناديني (ميشيت).. وإلا عدت أناديك (فريدوي).

قال ضاحكًا وكأنما يسره مضايقتها:

- حسن.. حسن، لا تنزعجي.. ألا يحقّ لي مداعبتك حبيبتي؟

مطّت شفتيها وقالت وهي تعود بعينيها للطريق تحاول إيجاد ثغرة وسط الزحام:

- ولكن ليس المداعبة السخيفة.

وأردفَت بسخط وهي تضغط على بُوق السيارة:

- وهؤلاء الملاعين الجهلة متى سيتعلّمون النظام؟ لقد أقفلوا الطريق.

نظر لها (فريديريك) بدهشة، زوجته (ميشيل) عصبية نعم، لكن ما يزعجه فيها تعصّبها المفرط.

قال مبتسمًا ابتسامة خفيفة:

- رويدكِ يا عزيزتي.. أنتِ تعلمين أن اليوم عندهم عيد.

قالت ساخرة:

- عيد! ماذا قال لنا ذاك المرشد اللص؟ آه نعم.. العيد الكبير.. عيد "التضحية"، هؤلاء البدائيون!

قال (فريديريك) بانزعاج:

- توقفي عن قول ذلك.. تبدين سخيفة.

كانا قد غادرا الفندق الذي يقيمان به على خليج (أغادير) في نزهة صباحية لزيارة المدينة القديمة، سائحان شابان يزوران المغرب للمرة الأولى، استأجرا السيارة الـ(رونو) الصغيرة، وانطلقا دون مرشد يفرضُ عليهما خطّ سيرهما، يبتزهما عند كل محل بازار.

فُتِح الطريق في تلك اللحظة؛ فانطلقَت (ميشيل) وهي لا تكفّ عن السخط والاستهزاء على نحو أزعج (فريديريك) بحق، وتساءل هل لأصول زوجته اليهودية علاقة بهذا؟

وتذكّر استخفاف زوجته بعدم اصطحاب دليل سياحي ذلك اليوم؛ لأنه طلب مبلغًا كبيرًا متعللًا بعدم تفرغه لظروف العيد، اعتبرته لصًا وقرّرَت أن يقوما بالجولة وحدهما.

على الأقل كان سيقودهما عبر طرق مختصرة بالمدينة القديمة، وسيعرّفُهما أكثر على مظاهر العيد ومعانيه لدى السكان البسطاء هنا، كان يحسدهم على السعادة المتفجرة في عيونهم.

كانت (ميشيل) تسرع وهي تقول بانفعال:

- إنهم يذبحون الخراف كالهَمَج ويحتفلون بذلك.. بدائيون.

شخَص ببصره في منظر الأطفال يتسابقون في الشوارع بملابس العيد.. السعادة تشع من ملامحهم وأعينهم، وقال بشبه شرود:

- تقولين ذلك وكأنك نباتية!

ردّت بسرعة دون أن تحوّل عينيها عن الطريق أو تنقص من سرعة السيارة:

– أنا آكل اللحم صحيح.. ولكنني لا أتمتّع بذبح الحيوان وسلخِه وشوي الرؤوس، هل تتخيل هذا؟ يشوون الرؤوس.. ويأكلون الأحشاء كذلك! يا للقرف!

قال بأسف وهو يعودُ ليتفحّص وجهها وملامحها التي بدت له للحظة بغيضة:

– أنت ظالمة يا عزيزتي.

ردت بقسوة سخرية:

– وأنتَ حَمَلٌ وديع.

لفت انتباهه المستغرب الأطفال الذين يجرُون خارجين من أزقّة ضيقة شعبية، والرعب بادي على وجوه بعضهم في أشد صُورِه، دموع غزيرة يطلقها أطفال آخرون مصحوبة ببكاء يمزّق القلوب الرحيمة.

دقّ قلبه بقوة وهو يشعر بأن أمرًا جللًا على وشك أن يحصل..

وقد كان!

خرج في تلك اللحظة عبر نفس الزقاق الذي هروَلَ الأطفال منه وحش بشع، اندفع نحو السيارة كالقذيفة.

كان يجري على قدمين، أول ما طَرَق ذهن (فريديريك)، والزمن يتوقف بالنسبة له كمن تعرض لصدمة، هو أنه أمام مخلوق خرافي كال"مِي جي" أو "البيج فوت"، أو مخلوق أكثر بشاعة.

هذا لأن الوحش الذي يراه كان بطوله تقريبًا مع رأس شيطاني لخروف أقرن، وجسمه مغطًّى بصوف متّسخ تصله رائحته النتنة وهو في السيارة.

آآآآآآآآآآآآآآآه

ندّت الصرخة من حلق (ميشيل)، مخرجة زوجها من حالة الصدمة؛ فانتفض وقد وقف شعر بدنه كالإبر.

لم يملك حتى الوقت ليلتفت ناحيتها، شعر بالسيارة تهتز نحو اليسار وزوجته تدير المقود في حركة بالغة الخطورة مع السرعة التي تنطلق بها.

في جزء من الثانية تنقلبُ السيارة بعنفٍ وجسده يندفع نحو الزجاج الأمامي.

أحسّ بالموجودات حوله تتذبذب، حاول طردَ الغشاوة الثقيلة عن عينيه، سائل دافئ يهبط من جبهته ويسيل على وجهه، أحسّ بمذاق الصدأ في فمه، وألم ينتشر في كل جسمه.

آخر ما التقطَتْهُ عيناه هو مجموعة من الوحوش تخرج من السيارة، جسد زوجته مهشم الوجه.. مغطى بالدماء، صرخ بكل ما تبقَّى من قوة بحلقه، قبل أن يبسط الظلام سيطرته على وعيه.

***

دماء.. دماء في كل مكان.

عندما عاد إليه وعيه، اكتشَفَ (فريديريك) أنه مغطّى بالدماء، معلّق من قدميه بخطاف انغرس في لحم ساقيه مع آلام فظيعة فوق كُلّ تصوّر.. كان معلقًا كالذبيحة في مسلخ!

في المقابل.. كانت زوجته معلّقة في وضع مماثل، رأسها على الأرض مبتُورَة بعينين جاحظتين، بينما انهَمَكَ مجموعة من الوحوش المكسوّة بصوف الخراف في سلخ باقي الجسد.

لم يعُد (فريديريك) يأبه لآلام ساقيه بعدُ، بعدَ رؤيته لهذا العرض الجحيمي، وصرخ بمنتهى الرعب.

حتى آذى حنجرته..

***

استيقظ (فريديريك) ببطء، نظر حوله ليتأكد فعلًا بأنه نائم على سرير مستشفى نظيف، حاول تحريك رأسه، وأحسّ بأنها تزن أطنانًا.

"ماذا حصل؟ أهو كابوس؟"، تساءل:

"أزوجته بخير؟"

حاول النهوض من السرير، لكنه انتبه فجأة للرائحة الشنيعة، تقلّصَ أنفه وهو يتذكر برعب أين شمّ مثلها؟ قبل الحادثة بقليل.

رائحة الصوف.

برعب اكتشف أن وحشًا يخرج من أسفل السرير الذي ينام فوقه؛ رأسُ خروف بقرنَيْن شيطانيَّيْن وجسم مغطّى بصوف أسود بنيّ كريه الرائحة.

تجمّد في مكانه غير مصدق أنه يعيش كابوسًا، انفتح باب الغرفة بعدّ صرخاته المتوالية الهيستيرية، فقط ليدخل وحشان آخران يتقدّمان منه بسرعة وهما يرمقانه بوحشية.

حاول القفز من السرير وهو لا يكفّ عن الصراخ الهيستيري، وقد حاصرته الوحوش، لكنه تعثّر وسقط أرضًا، دموع غزيرة تنهمر من عينيه، يحسّ أنه انتهى.

*****

تساءل د.(جون) وهو يغادر الحجرة رفقة البروفيسور (باتريك) في مصحة نفسية بـ(تولوز) الفرنسية:

- ما حكاية هذا المريض؟

أجاب (باتريك) وهو يمطّ شفتيه:

- لقد جاءنا منذ ستة أشهر بصدمة عصبية، كان في المغرب رفقة زوجته، وتعرضَا لحادثة بالسيارة، فقَدَت فيها زوجته حياتها.

- والوحوش التي يراها في هلاوسه المستمرة هاتِه؟

- يقول ملفّه أن أشخاصًا متنكرين أفزعوا زوجته عن غير قصد، كانوا يحتفلون بأحد الأعياد البدائية بالمغرب، يلبسون جلود الخراف ويطاردون الناس بالشوارع، شيء كالكرنفال يسمونه (بيلماون).

هزّ الطبيب الشاب رأسه، وكاد يقول شيئًا قبل أن يسمع صوت د.(عمر) الطبيب الأسمر في دفعته المتخرّجة حديثًا، يقول من خلفهما:

- أنت ظالم في قولِك يا بروفيسور، تتّهمُنا بالبدائية والتوحش، بينما ترون احتفالات الـ(هالويين) مثَلًا، وهي لا تختلف كثيرًا عن كرنفالات (بيلماون)، شيءٌ عاديٌّ بل ومحببٌ.

التفتَ إليه (باتريك) بحرج، وتوقّفَ حتى التحق بهما الطبيب المغربي الشاب، ثم انخرطوا في حديث طويل.

محمد سعد..

(8) الجميلة والوحش

غابة الصنوبر..

مئات الهكتارات تجرِي بجنون ما بعد الأفق في اتجاهاته الأربع.

في محاولة منها لتأهيل سكان المنطقة اجتماعيًا واقتصاديًا، حوّلَت الدولة جزءًا إلى منتزه وطني في ثمانينيات القرن الماضي، يتوفر على مختلف وسائل الترفيه (لمحبي) الطبيعة، الشيءالذي انعكَس إيجابيًا على الأهالي، خصوصًا وأن سحر المكان جذَبَ الآلاف من السياح الذين كانوا يفِدُون على البلدة المتَاخِمَة التي نبتت فيها فنادق صغيرة كالفِطْر.

وبقِيَ الجزء الأكبر من الغابة ذو المسالك الجبلية الوعرة والمغارات الغارقة في ضباب يشبه الدخان الأبدي، محتفظًا بعذريته القاسية المتوحشة، أطلقوا على تلك المغارات اسمًا لم يبخسها حقها: مداخن الساحرات.

هذا المكان يعرف إقبالًا ضعيفًا في موسم القنص الذي يمتدّ من فاتح أكتوبر إلى أواخر شهر ديسمبر، وبعض المحاولات المحتَشِمة لهواة تسلق الجبال.

عدا ذلك فهو قلعة غامضة منيعة تغذّت هيبتها بالأساطير الشعبية منذ قرون.

كأي مكان فوق هذه الأرض عاشت الغابة على وقع أفراح الناس ومآسيهم.. آمالهم وأسرارهم المتفاوتة القذارة.

لكنها لم تعرف في تاريخها أحداثًا كالتي بدأت أطوارها في عتمة خريف 2007...

ذات مساء كئيب عثر زبون متأخّر على عاملة الاستقبال بفندق صغير، امرأة في عقدها السادس منكفِئَة على وجهها في حركة دفاعية تحت ضربات الرعب، وقد تهشّمَت جمجمتها بواسطة أداة ثقيلة تبَيّن فيما بعد أنها حجر ضخم علِقَت به بقاياها العضوية من دم تخثَّر على حفنة شعر وبقايا الدماغ.

هزت المأساة سكان البلدة المعتادين على تَرَفِ الكسل والمال السهل المنال، واستغربوا لِمَ قد يلجأ شخص إلى قتل العجوز الطيبة التي طالما أبهجَت جلساءَها بنكاتها (الغير اللائقة) وحلو حديثها؟

عاشَت وحيدة قرابة عقدَيْن من الزمن بعد اختفاء ابنتها الغامض، كان عمر الطفلة عشر سنوات، ورغم الجهود الجبارة التي بُذِلَت في البحث عنها لم يعثروا عليها، وأقفلت السلطات الملف في انتظار معطيات جديدة.

لم تُفضِ التحريات إلى نتيجة تُذكَر رغم وحشية مسرح الجريمة والآثار المقززة التي لم يكلّف القاتل نفسه عناءَ محوِها.

لم يكَد يستفيق الناس من الصدمة حتى بلغتهم أنباء الاعتداء على مزارعين شقيقين يملكان ضَيْعة تبعد حوالي عشرة كيلومترات، لم توفّق كلمة اعتداء في وصف المجزرة الشنيعة في تلك الليلة الممطرة.

بَقِي رجال الدرك الوطني (قوة عمومية تقوم بالمهام الشرطية بالمناطق النائية والجبلية) فاغِرِين أفواههم كالأغبياء، بدا أن الأخ الأكبر كان يحاول تسلق أحد السلالم الخشبية هربًا من شيء ما.. هذا الشيء نزع ذراعه اليُمنَى من الكتف ونهش أعضاءه التناسلية مرورًا بنشر أحشائه على مدى عدة أمتار. شقيقه كان أكثر حظًا؛ حيث نجح في بلوغ سيارته رغم جروحه الخطيرة، لحق به مهاجمه وهشّمَ زجاج النافذة بغية الإطباق على عنقه بواسطة فكّه، لكنه نجح فقط في

قضْمِ جزءٍ من خده، باستماتة يائسة تمكنت الضحية من النفاد بجلدها في حالة يُرثَى لها.

هذه التفاصيل الأخيرة عرفها المحققون من تعيس الحظ نفسه، الذي استفاق من غيبوبة دامَت شهرًا بعد عدة عمليات جراحية حاولَت ترقيع ما تبقّى منه.

آثارَ المهاجم توجهت نحو غابة الصنوبر ثم اختفت! حتى الكلاب فقدت الرائحة!

بنَى الرجال آمالًا كبيرة على شهادته..

لكنّه بعد الاستيقاظ كان في حالة صدمة أخرَسَتْه للأبد، وعيناه كانتا تحدّقان في نقطة خفية ما بين أرضية الغرفة والسقف.

بمساعدة طبيب نفسي استطاع أن يكتب بضع كلمات كانت كافية لنشر الرعب في القلوب، وصف مهاجمهما بـ(الوحش) و(الشيء)، ثم (الشيطان)، كل الحاضرين قلقُوا من أن يكون فَقَدَ عقله وضاعت معه أسرار الفاجعة، لكن من بعض تلميحاته فهموا أن الكائن يتمتّع بنوعٍ من الذكاء أو سعة الحيلة؛ لأن هجومَه نُفّذَ بدقة محكمة، كان مختبئًا في مكان ما وانتظر ابتعادهما عن بعضهما ليتخلص من الأقوى أولًا، ولم يترك له مجالًا لاستعمال بندقيته التي عَثَر عليها من قَبْلُ محطّمَة وخراطيشها مبعثرة، أما هو فقد لاحقَهُ بنوع من الحقد والتصميم كأنه كان في مهمة! الباقي حكاه جسده المعذب، إضافة إلى تشويه خده الأيسر اقتُلِعَت خصيتاه ووِرْكَه، حتى العظم؛ فترك للأطباء لغزًا محيرًا: كيف تمكّنَ من بلوغ السيارة وسياقتها كما ادّعى؟!

استُدْعِيَ رسامٌ مختصّ وعقد معه جلسات لإعطاء المخلوق هيئة من عدم، جاءت النتيجة متطابقة مع أشد الهلوسات جنونًا، حتى أن المحققين ارتابوا في الأمر وقرروا أن المحاولة لن تنجح إلا في نشر الهلع

الخرافيّ وسط ساكنة رهِينَة تقاليدها العتيقة، لكن دائمًا ما تجد الأخبار طريقها إلى الآذان لتنفذ منها إلى القلوب، وتنشر فيها سمّها على شكل واجهة غضب يتوارَى خلفها خوف بدائي، قرر الناس حمْلَ قدَرِهم بين أيديهم والقيام بحملات مطاردة للوحش الذي لا يمكنه الاختباء إلا في متاهة مداخن الساحرات، قرّرُوا استخدام تقنيةٍ توارَثُوها ضد الذئاب والخنازير البرية وباقي الضواري، التي كانت فيما مضى تهدّد سلامتهم أو ثرواتهم الفلاحية من محاصيل زراعية ورؤوس مواشي، لم يعترض العمدة على هذه المبادرة العشوائية؛ لأنه رغب بامتصاص غضب المحليين، ثم إنهم (من الناحية القانونية) لم يرتكبوا أية مخالفة؛ لأن موسم القنص ما زال مفتوحًا رغم عِلْمِ الجميع أن الأمر يختلف، وقد تُعرّض هذه التحركات الغوغائية مجريات التحقيق للخطر.

كانت هذه التقنية تقتضِي إرسال نَفَرٍ من القناصين المحنّكين متفرقين على خط عريض؛ لتغطية أكبر مساحة ممكنة من الغابة رفقة كلابهم المدربة؛ لينقّبُوا في الدغل والمغارات الجبلية محدثين ضوضاء عظيمة لإخافة الحيوانات وحثّها على الفرار في اتجاه معين إلى حتفها، وجهًا لوجه مع فوهات البنادق المتعطشة للدماء.

لم يعرّضوا مجريات التحقيق للخطر، فقط قلَبُوا معطياته رأسًا على عقب مع بعض (الأضرار الجانبية).

توغّلُوا بعد زوال ذلك اليوم في متاهة الجبل الغادرة، الغارقة في جدران صماء من الآبريات المعمّرة التي تلاصقَت جذوعها في اتحاد تام ضد نور الشمس، كل شيء هناك يتكون من مجهول وصمتٍ، وصدى مخادع يقفز على أذنِك ومنها في تزامن محير.

شرع الفريق الأول في الجزء الأول من الخطة، فيما اتخذ الباقون مواقعهم بعناية حسب تجربتهم الطويلة في الميدان، قفزَت من هنا

وهناك بعض الغزلان والأرانب المذعورة في حالة فوضَى آستَها حفيف أجنحة طيور الحجل، ونباح كلاب الصيد المنهك للأعصاب.

كانت السبابات ترتعد فوق الزناد، والكل يتساءل حول طبيعة هذا المخلوق العجيب الذي أحكم قبضته على البلدة. إن استثنينا الدّبَبَة التي انقرضت منذ عشرات السنين من المنطقة، لا يوجد حيوان بإمكانه تمزيق جسد بشري بتلك الصورة المريعة، إلا ربما.. أسدُ الجبل الأسطوري الذي ما زالت بعض أفراده تسكن المغارات البعيدة حسب روايات الرعاة.

فجأة دوّت صرخة عظيمة هزت القلوب وجعلتها في مهبّ الريح، لو كان للجحيم حلق لـ..

كتمُوا أنفاسهم ليتتبّعوا المصدر، لكنه كان في كل مكان!

استعاد الصمت حقوقَه لوهلة قصيرة..

صرخة أخرى أربكَتْهُم وجمّدَت الدم في عروقهم: شخص يتألم في مكان ما.. ربما أحد الرفاق، تلتها طلقات نارية عشوائية، ثم هوَى شيء ثقيل ورَخْوٌ على أحد الرجال من أعلى جرفٍ جعلَه يسقط على مؤخرته ويحسّ بتمزّق عضلي رهيب في كتفه وصدره.

كانت جثة كلبٍ قُصِمَ عموده الفقري كقشّة تافهة..

بدا أن الأدوار تغيّرَت.. من الطريدة الآن؟

الحيوانات لا تتصرّف هكذا!

حقد وخبث..

تعرّفوا على الكلب وهرولوا تِجَاه موقع صاحبه أسفل الوادي..

عثروا عليه.. على بقاياه معلّقَة رأسًا على عقب بواسطة حبل بدائي من ألياف الأشجار.

نداءات متحشرجة ومتقطّعة عبر اللاسلكي أعلنت انتهاء العملية وحدّدَت نقطة اللقاء.

وصل المحققون إلى مسرح الجريمة، (فرضية حيوان مفترس ذهبَت أدراج الرياح).

متن هليكوبتر نقَلَت الجثة للتّشرِيح بعد جمع العيّنات والأدلة..

الآن فقط تساءلوا إن كان لمقتل سيدة الفندق بالباقي.

لكن المفاجآت بدأت لتوها..

منذ إنشائِه لم يسبق أن واجَهَ مركز الدّرَك المتواضع قضايا بهذا الحجم، مع ما سينجم عن الأحداث من تغطية إعلامية على الصعيد الوطني وتحريك متأجّج للرأي العام.

دون ذكر صواعق الإدارة المركزية لحساسية الموقف.. الأحداث تهدّد بانهيار اقتصادي مريع للمنطقة التي تعتمد أساسًا على النشاط السياحي.

أرسل القائد طلبًا مستعجلًا للحصول على تعزيز أمني ذي خبرة عالية..

لم تتحرك الأوضاع فعليًا، حتى لَقِيَ العمدة حتفه بمكتبه..

كان المشهد كابوسًا فظيعًا، تضمّن ذلك التوقيع المميز الذي وسم الجثث اقتلاعًا ساديًا للجهاز التناسلي والضحية على قيد الحياة؛ لأن النزيف تفجر من الأوعية الممزقة كنافورة جهنمية.

حين قدم رجال مكتب التحقيقات الوطني تعقّدَت مهمتهم بسبب الفوضى التي اعتَرَت طريقة جمع الأدلة، وتلوث العينات العضوية الموجهة إلى المختبر، لكنهم تداركوا الأمر بإعطاء أوامر صارمة للحفاظ على مسرح الجريمة الأخير (مُعَقّمًا) حتى يصل خبراؤهم الجنائيون.

بسرعة ودقّة جهّزُوا مركز عمليات مع خطة لليلة القادمة..

حين جنّ الليل جهّزوا طائرات صغيرة بدون طيار، أو ما يعرف بـ(الدرون)، وأرسلوها مزوّدة بكاميرات حرارية متطوّرة إلى مداخن الساحرات والمرتفعات المحيطة بها، انطلقَت كسربِ حشرات صامتة تغطّي مساحات شاسعة تحت أعين الكمبيوتر.

تجاهل التقنيون حياة الليل بالغابة..

بدأ اليأس يدبّ في النفوس عند النزع الأخير من الليل حين لمحوا فوق الشاشة خيالان حمراوان ينزلقان بسلاسة فوق محيطهما الحالك.

هبّ الفريق برمته لمراقبة الشاشة..

اتّجهَ ببطءٍ نحو مكان لم تستطع الكاميرا تصويره، لكنها حدّدَت موقعه طوبوغرافيًا.. استرجعَت الأجهزة فيما بقيت ثلاثة منها تنتظر.

الحسابات الهندسية وضّحَت أن الشبحين ولجَا مغارة، واستلقَيَا.. حركاتهما البطيئة رجّحَت إمكانية خلودهما للنوم.

يمكن أن يكونا مجرد متشردَّين بريئَين.. في هذه الحالة سيتم الاعتذار لهما لاحقًا، أما الآن فهما يمثلان أهم شيء يلُوح في هذا المكان المقفر.

تسلّلَت الطائرات الصغيرة إلى المغارة بهدوء مدرُوس.

أعطيَت الأوامر لإطلاق الغاز: تركيبة منوّمة تشلّ العضلات لساعات، لكنها ليست مميتة.

دقائق من الانتظار ثم انطلقت المروحية تقِل فريق التدخّل.

طوّقُوا فوهة الكهف الغارقة في الظلمة مزوّدِين بمناظير ليلية وأقنعة غاز.

كان المكان زلقًا وشديد الانحدار، وحواسهم تدق ناقوس الخطر.

قطرات الماء المتهاوية من الأعلى عذّبَت أعصابهم بصداها السريالي.

على بعد 50 مترًا تقريبًا من المدخل عثروا على هيئة امرأة متهالكة على فراش من العشب اليابس..

لا أثر للشبح الآخر..

كان الصمت الرهيب تقطعه حشرجَة أنفاسهم القلقَة عبر الأقنعة..

حين اقترب أول عنصر من المرأة قفَز عليه شيء من عدَمٍ وأطبق فكّه على قناعه بجنون بغية تمزيقه.

سقط الشرطي أرضًا وهو يحاول إخراج مسدّسه من قرابه، لكن المخلوق كان ذا قوة هائلة..

خمس طلقات 9 ملّم من رشاش الجِيب HK وضعَت حدًا لمغامرته.

حين أعطى الرجال الإشارة بانتهاء المهمة تكفّلَت مروحيتان بنقلِهم مع الجسَدَيْن الغريبين إلى أقرب مركز طبي.

مرت أيام غليان داخل خلية القيادة مع توالي المفاجآت، بعد البحث تمكّنُوا من تحديد هوية المرأة، لم تكن سوى ابنة سيدة الفندق المقتولة!

لكنهم عانوا كثيرًا قبل الحصول على أدق التفاصيل التي أمَاطَت اللثام عن جزء من اللغز.

كانت ما زالت طِفْلَة حين عرَضَتْها أمها على رجال من القرية ينهشُون براءَتها مقابل المال.

كانت تضَعُ جسدَها النحيل تحت تصرفهم المطلق، لم تعرف قطّ كراسي المدرسة، ولم يكن أحد يهتم.

فرَّت من المنزل في حالة يُرثَى لها، انتقَلَت من مكان إلى مكان باسم مستعار حتى أحالتها السلطات المحلية على أحد الملاجئ الذي تعلمت فيه القراءة والكتابة، وعرفت فيه بعض الأمان، كما كانت جدّ ممتنّة أن لا أحد تكبّدَ عناء البحث عن ماضيها.

حتى جاء ذلك اليوم المشؤوم الذي تعرّضَت فيه للاغتصاب مرة أخرى من طرف مدير الملجأ، أظلمت الدنيا في قلبها الصغير الذي تحوّل إلى شيء آخر.

غرزَت قلمًا في إحدى عينيه وغادرت عالم البشر لغير رجعة تِجَاه الغابة آملة أن تلقَى حتفها.

هناك الْتقَت أرقّ كائن عرفته في حياتها البائسة..

كاد الجوع والبرد يفتكّان بها حين حملها إلى كهفه بالأعالي، واعتنى بها وحماها بكل ما أوتي من قوة رهيبة.

خلال جلسات التحقيق كانت تسمّيه (عائلة).. وكلما فعلَت بكَت أو ابتسمت.

ندمَت فقط على استغلاله لتحقيق مخطّط الانتقام الذي بدأته بتهشيم جمجمة والدتها.

تلاها باقي المتورّطين، بما فيهم عمدة البلدة الذي كان وقتها مزارعًا ثريًا.

الجزء الآخر من التحريات كان أكثر تعقيدًا..

كانت جثة المخلوق ممدّدَة فوق طاولة التشريح في تحدٍّ صارخ لما يسمى منطقًا، بدا أنه فرّ من فخ الزمن أو من مختبر عالم مجنون، هيئته العامة أوحَت بإنسان نياندرتال قصير القامة ذي جسد رمادي كثيف الشعر، وكتلة عضلية فولاذية متوترة حتى في غمرة الموت! لايخلو تعبير وجهه من بعض الذكاء.. بالمقابل كان مزودًا بفكّ كلّابيات!

تطابَق حمضه النووي مع ما جَمَع من مسارح تلك الجرائم، كما عُثِر على بقايا أنسجة ودماء الضحايا بين أنيابه وتحت أظافره.

اقترب فريق البحث من إقفال الملف حين انتشر خبر فرار المرأة..

الفحوصات الأوليّة أثبتَت أنها كانت حاملًا!

هل كان الوحش والد الجنين رغم خصائصه الجينية الفريدة؟

مروحيّة خاصة حلّت بعين المكان لتسلم جثته بناءً على أوامر عُليَا من العاصمة..

ربما كان سبقًا علميًا..

لكن تلك كانت قصة أخرى.

(9) صفقة رابحة

فتَح عينيه ليجَدَ حوله أشخاصًا ينظرون إليه في عطف، ونظر حوله ليجد أنه يرقد فوق فراش فخم؛ في حجرة تشبه حجرات القصور، وفوق الفراش صورة لشخص مهِيب الطلّة، متقدّم في العمر، وتبدو عليه سمات الثراء الواضحة. حاول أن يتذكر أين هو؟! ومَن هؤلاء الأشخاص الذين يلتفون حوله؟! لكنه عجز تمامًا، وعندما رأوه يفتح عينيه ابتسموا جميعًا وهنأوه بسلامته؛ فأمرهم الطبيب بأن يتركوه ليرتاح، وتركه الطبيب بعد أن أعطى أوامره للممرضة بأن تعتنِي به وبمواعيد الدواء، وأن تتصل به إذا طرأ أي شيء، غادر كلّ مَن في الحجرة وتركوه وحده في حيرة من أمره: "مَن هؤلاء؟! بل من أنا؟!" قالها في نفسه ولم يجد إجابة. أغمض عينيه ليحاول أن يتذكر أي شيء، ولكن كان هناك صور وأحداث غير مفهومة تدور بعقله، ولم يخرج منها بأي شيء. تحامَلَ على نفسه وحاول أن ينهض رغم الدّوَار الذي كان ينتابه، وجد بجانبه عصا فخمة كالتي يحملها الملوك والأمراء؛ فاستند عليها وتجوّل في الحجرة عساه يجد شيئًا يتذكّره، وأثناء تجواله بالغرفة وقعَت عيناه على انعكاسه في المرآة، وهنا أصابه الذهول، بل لم يصدق عينيه لوهلة وكأنه ينظر إلى بورتريه، إنه ذلك الشخص المعلّقة صورته فوق الفراش، ظلّ يتأمل ملامحه في عدم تصديق، يحرك حاجبيه تارة، ثم يفتح فمه ويغلقُه تارة أخرى، يرفع إحدى يديه، ثم يرفع الأخرى! حتى تأكد تمامًا أن هذا الذي في المرآة هو نفسه، ولكن "من هذا؟! أكادُ أُجَنّ" قالها بصوت عالٍ، سمع طرقات على الباب؛ فسمحَ للطارق بالدخول، كانت الممرضة تدعوه لتناول

الدواء؛ فانصاع لها، ثم دخل الخادم ليسأله إن كان يريد شيئًا معينًا يتناوله على الغداء. فشرد قليلًا وأجابه:

- نعم.. هل تعرف الديك الرومي؟

فنظر إليه الخادم بدهشة ولم ينطق، فأكمل كلامه:

- أريد أن آكل ديكًا روميًا على الغداء.

وهنا رد الخادم:

- ولكن يا قاسم بك..

وكانت دهشته عظيمة عندما سمع اسمه لأول مرة. فتنَحْنَح وقال:

- ماذا دهاك؟

فأجابه الخادم:

- ولكنكَ يا سيدي ممنوع من تناول مثل هذه الأطعمة! وقد أعطيتَنا بنفسك قائمة بالطعام المسموح، ومعظمها من الخضار "السوتيه" والحساء منزوع الدسم.

وهنا تدخلت الممرضة:

- لقد ترك لك الطبيب قائمة طعام جديدة اليوم، وقد حدّد بعض أنواع الخضر وليس جميعها؛ فالقولون لن يتحمّل كل الأنواع، وقد نصح الطبيب بضربِ الطعام في الخلاط وتناوله على هيئة شراب أفضل.

وهنا فاضَ الكيل.. فاض الكيل، وضرب "قاسم" بكلتا يديه على طاولة كانت بجانبه، وقال لهم:

- من أنتم؟! وماذا دهاكم؟! بماذا تَهزُون؟ من أنا؟!

وسقط مغشيًا عليه.

وأفاق هذه المرة على صوت خادمه، وكأنه يسمعه يبكي: فسأله في وهن:

- أريد أن أعرف من أنا؟

فنظر إليه الخادم في إشفاق وحنو، وقال له:

- ماذا بك يا سيدي؟ منذ أن خرجت ذلك اليوم وتغيّبْتَ عن القصر أيامًا لا نعرف عنك شيئا، وذلك بعد أن أخبَرَكَ الطبيب بذلك الخبر المشئوم بحقيقة مرضك العضال الذي لا شفاء منه، من وقتها وأنتَ لست على طبيعتك، أصبحْتَ منزويًا، وكنت تدخل مكتبة القصر ولا تخرج منها، رفضتَ الطعام والشراب وكدتَ تموت هالكًا، إلى أن خرجت ذات يوم وأنت تحمل كتابًا قديمًا مهترئًا، كنت تحمله تحت إبطك وخرجتَ من القصر، واختفيت ثلاثة أيام، إلى أن وجدك عابرو السبيل ملقًى على الطريق: فأحضروك إلى القصر، ومن وقتها وأنت على هذا الحال، إن الأعمار بيد الله يا سيدي، و"كل نفس ذائقة الموت"، علينا أن نتقبّلَ أمر الله ومشيئته مهما كانت.

سمع العجوز هذا الكلام مصدومًا، ولكنه لم يرد: فهو لا يعرف ماذا يجري، وفي اليوم التالي قرر أن يغادر المكان ليبحث عن أجوبة، سأل الخادم أين ملابسي؟ وهنا أشار الخادم إلى زر بجانب الفراش، ضغطه لينفتح بابًا جانبيا في الغرفة: فدخل من خلاله ليجد خزانة للملابس بحجم شقة كبيرة، تجوّل فيها ليجد صفوفًا من القمصان والبذلات الأنيقة والأحذية الراقية الباهظة الثمن، وجميع أنواع الملابس: فانتقَى لباسًا أنيقًا، وهبط الدّرَج ليجد أن السائق في انتظار أوامره وتحديد وجهة الذهاب: فنظر للسائق بشرود، وكان يسأل

نفسه: "إلى أين أذهب؟" فطلَب منه أن يتجوّل في شوارع المدينة دون هدف؛ فامتثل لأمره دون نقاش وأخذ يجوب الشوارع في تؤدَة، كان العجوز يتطلّع إلى الشوارع وكأنه يبحث عن شيء ما لا يعرف ماهِيتَه، ثم أخبر السائق أنه يريد أن يرتاد الأماكن الشعبية، حيث وجد بداخله حنينًا غريبًا إليها؛ فأخذت السيارة تسير بين الشوارع والطرقات القديمة، مارّة بالمقاهي والكافيهات، وفي إحداها وجَدَ "قاسم" وجهًا مألوفًا بالنسبة إليه؛ فطلب من السائق أن يتوقف، وهبط من السيارة متجهًا إلى صاحب الوجه المألوف، وعندما وصل إليه بدا له وكأنه ينظر في المرآة، حدّقَ في وجهه طويلًا دون أن ينبسّ ببنت شفة، وبادلَهُ الآخر بنظرة غريبة، نظرة تحدي واضحة، فسأله العجوز:

- من أنت؟

فأجابه الآخر:

- بل قل: من أنا؟! ألم تردّد هذا السؤال منذ أفَقْتَ من غيبوبتك؟!

وهنا انتابته الدهشة، وقال:

- كيف عرفتَ أنني كنت في غيبوبة، و...

هنا قاطعه الشاب قائلًا:

- ما أنتَ فيه الآن ما هو إلا آثار جانبية نتيجة الانتقال، ستعتاد الجسم الجديد، أليس هذا ما كنت تريده؟ ألم يكن هذا ما اتفقنا عليه؟!

نظر إليه العجوز باستغراب، واستطرد الآخر:

- أنتَ من جئتني بقدميك.. جئتَ طالبًا مساعدتي، وكنت أبحث عن جسد، وعندما عرضتُ عليك الفكرة وافقتَ على الفور دون تردّد أو نقاش، بعد أن عرفتَ أنك سوف تكون غنيًا.. غنيًا جدًا، وقد حصلتَ على مبتغاك وأصبحتَ غنيًا بشكل أكبر مما يتصوّره عقلك، وحصلتُ أنا أيضًا على ما أريد، جسدُ شاب فتيّ، أقضِي فيه حياة مليئة بالمغامرات والإثارة، أنتَ بِعْتَ شبابك مقابل الثروة والجاه، وأنا تنازلتُ عن كل ما أملك مقابل شبابك، تلك كانت الصفقة، اعتدتُ أن أكونَ رجلَ أعمال ناجح، وبالنسبة لي هي صفقة ناجحة مائة بالمائة.

نظر إليه العجوز في ذهول، وارتسمت على وجهه علامات الرعب وعدم التصديق، "كيف حدث هذا؟! أين كان عقلي؟!" تردّدَت هذه العبارات بداخله، وتمنّى من كل قلبه أن يكون داخل كابوس ويستيقظ منه عاجلًا أو آجلًا، ولكنه أيقَنَ أن ما يحدث الآن ما هو إلا واقع مرير وعليه أن يعيشه شاءَ أم أبَى، وراح يجرّ أقدامه إلى سيارته الفارهة؛ حيث فتح له السائق الباب الخلفي ليدلفه بحرص؛ فعظامه لا تتحّمل الانحناء الشديد، وأمر السائق بالانطلاق والعودة إلى القصر، وقبل أن تنطَلِق السيارة ألقَى نظرة ملؤُها الحسرة على ذلك الشاب الذي كان بدوره يرمقه هو الآخر، ولكن نظرته كانت مختلفة؛ نظرة ظفر وانتصار، نظرةٌ تليق بمن حصل لتوّه على صفقة رابحة.

راضي عبده..

(10) ملاك وشيطان

(هل تراهِن أن الشرّ سينتصر في النهاية)

من عالم آخر تردّدَ صدى تلك الكلمات في جنبَات البهو الفسيح لبرج شاهق الارتفاع ينقسم إلى نصفين: أحدهما مطلِيّ بلون حالك السواد، والشطر الآخر فاقع البياض، كان يجلس في جزءِه الداكن مخلوقٌ بشع الخلقة، عيناه مشقوقتان طوليًا كأعين الثعابين، يبرز من ناصيته قرنان ملتويان، يرتدي حرملة نارية، يتراقَص من خلفِه ذيل طويل رفيع، وجّهَ هذه العبارة إلى كائن مسالم وديع أشبه ما يكون بإله الحب (كيوبيد)، ذلك الملاك الوسيم ذو الجناحين والوجه الطفولي البريء، كان يجلس على عرش أبيض زاهٍ، أسبَلَ جفنيه وهو يقول في صوت أشبه بالهمس:

– محال يا (شازام)، أثقُ أن الخير ستئول له عاقبة الأمور، وأراهنك بحياتي على ذلك.

نهض (شازام) من فوق عرشه وخطَا خطوات واسعة، قبل أن يتوقف عن الخط الفاصل، وضغط على حروف كلماته وهو يقول بصوت باردٍ قاسٍ:

– اتفقنا يا عزيزي (خازام)، سنرى لمن ستكون له الغلبة في الختام.

قالها، ثم وجّهَ بصره صوب تلك البللورة السحرية الضخمة التي تنقل أحداثَ تلك القصة التي تدور رحاها على الأرض في نزاع أزليّ بين المتنافرَين: الخير.. والشر.

تسلّلَت خيوط الضوء الفضيّة للقمر لتبدّد شيئًا من الظلام الدامس لغابة مترامية الأطراف؛ ليَبدُو أن هُنَالك ظلَّ شخص مفتول العضلات، متِين البنيان، تفُوح منه رائحة الفتوة، يرتدي عباءة رمادية اللون، ويغطي شعره بقلنسوة زرقاء، يمتطِي جوادًا أدهمًا، توغّل في الغابة وشق طريقه وسط الأشجار في تؤدة، حتى وصل عند حدود بحيرة طبيعية ضيقة تفيض بالمياه الغائرة، تطوّق منطقة أشجار كثيفة، ترجّل عن صَهْوة جواده، وزوَى ما بين حاجبيه، عندما أبصر على ضوء القمر الخافت صفحة الماء التي تعجّ بأسماك صغيرة من نوعِ (البيرانا) المتوحشة التي تتغذّى فقط على اللحم، تصاعدت من خلفه جلبة قوية، مع ارتفاع حفيف أوراق الشجر؛ فاستدار على الفور ليتبيّن مصدرها، وزوَى ما بين حاجبيه، وجفَل شاهقًا في ارتياع، قبل أن يَصِيح قائلًا:

- ربَّاه.. من هذا؟!

أخذَ يحدّق في زوج من عينين حمراوين بلون الدم أخذَت تُحمْلِق فيه بوحشية وشراسة الدنيا، كان مخلوقًا عملاقًا يناهز المترين طولًا، ضخم الجثة.. قبيح الخلْقَة من فصيلة تشبه الغوريلا، يدبّ الأرض بقدميه الضخمة المفلطَحَة، يحمل جسمًا مُغطّى بشعر أسود كثيف، ذو أنفٍ أفطس وفمٍ واسع كبير.. تبرز منه أنياب حادة قاتلة، يبعث مرآهُ أقصي آيات الرعب والهلع في أوصال أشجع الشجعان، ظهر بغتة وكأن الأرض انشقَّت وأنجبته من العدم!

دق الوحش الضاري على صدره بقبضتيه في تتابع قوي وكشر عن أسنانه الحادة، وزمخر وهو ينقض على مفتول العضلات، الذي أخذَ يعافره وينازعه؛ فعاجله الوحش بعقرةٍ عنيفة وهو يجثم فوقه بكل قواه؛ فأرداه طريحًا على ظهره مجندلًا فوق الأرض العُشبية، ثم نشَبَ نصال مخالبه الماضية لينهشه في بطنه!

دار الرجل بجسده أرضًا؛ فتفادى بأعجوبة مخالب الوحش، وبسرعة سلَّ خنجره الطويل الحادّ من غمده، وأمسك مقبضَه بقبضة من فولاذ، وبحركة جانبية ماهرة هوَى بخنجرِهِ بكل ما أوتي من قوة عزيمة غامدًا نصله حتى مقبضه في عين الوحش؛ فاخترَقَها حتى نفدَت ذُؤابتهُ من مؤخرة رأسه محملة بتلافِيف مخه، وفي أعقابه نافورة غزيرة من الدماء القانية؛ لتنطلق من حلق الوحش صرخة رهيبة زلزَلَت كيان مفتول العضلات، وكادت من شدتها أن تمزّق طبْلَتَي أذنيه، بعدها هام الوحش على وجهه وأخذ يدور بلا هُدًى حتى سقط في قلب البحيرة مباشرة، مُجندلًا من فوره، ومُضَرّجًا بِالدِّمَاءِ، وسرعان ما تكالَبَت عليه تشكيلات منتظمة من أسماك (البيرانا)، وأخذَت تنهش في جسده الخامل وتمزق لحمَه بنهَم، حتى اضطربَت هذه البقعة من البحيرة وبدَت تتعرض للغليان، وتخضبت المياه بالدماء القُرْمُزِيّة على مساحة واسعة، ولم تترك (البيرانا) فريسَتَها إلا بعد أن أجهزَت عليها، وحوّلَت جسدها إلى هيكل عظمي مفرّغ من اللحم تمامًا!

حدّقَ الضخم في هذا المشهد المروّع؛ ليتنفس من بعده الصعداء، وبالطبع تجاهل المعبر الخشبي الوَاطِئ والذي تكاد المياه تُغطيه، وقفَزَ برشاقة قط بريّ ليتعلق بإحدى الألياف الطويلة المتدلية، وتأرجَحَ به لحظة، ثم راح يقذف جسده إلى الأمام في قوة وإصرار، والأسماك المفترسة تتواثَب من أسفل قدميه، حتى كادت تنهشها بأسنانها الحادة، لولا أنه قوّسَ جِذعَه وهو يطير مندفعًا في الهواء حتى تجاوز البحيرة وبلغ الشاطئ الآخر، وهناك ترَكَ جسدَه يهوِي بعد أن ثنَى ركبتيه لامتصاص صدمة السقوط، وأخذ يسعل ويلهث، وصدره يخفق في شدة من فرط الجهد والانفعال، وانتظر حتى هدأَت أنفاسه المضطربة قليلًا، ثم نهض معتدلًا، وأمعَن النظر؛ ليرى كوخًا خشبيًا شبه متهالك، يكاد يتوارَى عن الأنظار خلف نباتات وأشجار الغابة الوارفة

الضخمة، وصل إليه وعالج مزلَاج نافذة الكوخ الجانبية، ونجح في التسلّل للداخل في هدوء؛ ليلمح على وهج المشاعل المثبتة على الجدران خادمًا نحيلًا يرقد مستلقيًا بجوار الباب من الداخل، يغُطُّ في نوم عميق، وعلى أطراف أصابعه تحرّك بحذر شديد حتى بلغ بابًا دفعه في خفوت؛ ليدلف إلى داخل حجرة عتيقة الطراز، عظيمة المساحة، فاخرة الأثاث والرياش، تراقصَت على وجهه ظلال برتقالية مخيفة، ألقَتْها نيران شموع في شمعدانات خُماسية تزخر بها أركان الحجرة، رَمَى نظرَةً تفيض بالمَقْتِ والكراهية على من تتدثّر بالغطاء فوق الفراش الوثير، وبلا رَوِيَّة أخرج من غَمْدٍ معلق بنطاقٍ في خصره خنجرًا عجيبًا ذا نَصلٍ معقوق برّاق من الماس، وتقدم نحو الفراش، وعيناه تبرقان في وحشية، ورفع خنجره في الهواء بين قبضتيه، ثم هوَى به يطعن من يخْلدُ إلى النوم..

ويطعن..

ويطعن..

ويطعن..

***

تألقَت عينا (خازام) وهو يضمّ قبضته علامة النصر المُبِين، ويهتف بصيحة المظفر قائلًا:

– هيا افعلها أيها الرجل واقضِي على ساحرة الشر للأبد.

توتّرَت أعصاب عدوه اللدود (شازام)؛ فهبّ من مقعده وهو يقول في نبرة يعتريها الانزعاج:

– هيهات هيهات يا عزيزي، ليس بهذه البساطة ينتصر النقاء، هذا سابق لأوانه، فلنترقب ماذا سيحدث؟!

أومأ (خازام) برأسه موافقًا وهو يقول في ثقة مفرطة:

– أجل.. فلننتظِر ونرى.

***

فجأة تسمر الرجل في مكانه، وتوقف عن مواصلة الطعن، وقد فَطِنَ أن في الأمر خدعة ما، سقَط فيها كالغرُّ الساذج، وفي حركة عصبية متوتّرة أزاح طرف غطاء الفراش بنصل خنجره؛ فاِستَشاطَ غضبًا، وجُنّ جنونه وهو يتطلع إلى الوسادة الحريرية الزرقاء الموضوعة طوليًا، والتي مزقّتْها طعناته، ثم بحركة غريزية رفع عينيه إلى أعلى، ولم يكَد يفعل حتى انتفَضَ جسده في عنف كالملسوع.

وفاغرًا فاه، حَمْلَق مشدوهًا إلى امرأة باهرةِ الحُسن، جمالها بارد كالثلج، شعرها أسود فاحم مثل شلّالٍ ينسدل حول وجهٍ تبرز فيه أهدابها الطويلة، المؤطّرة بألوان قوس قزح، كانت غريبة الأطوار بحقٍ في وضعية عجيبة متجمدة خلالها كالتمثال، ومعلّقة ذاتيًا في فراغ الحجرة في تَحَدٍ سافر لقانون الجاذبية الأرضية!

ظهرُها ملتصقٌ بالسقف كالخفاش، وجفناها ينفرجان في تلك اللحظة عن عينين واسعتين كحيلتين، تتألقان وتلتمعان بوهج جُهنّميّ، حتى تحوّلت إلى سراجَين مشعَّين كاد ضوؤُها يغشي بصره، وهما يحدّقان فيه بكل غضب ووحشية الدنيا.

مضَت لحظات تسيّدَ فيها الصمت البليغ المطعّم بالترقب الأجواء، أخذت خلالها السيدة تُبرّقُ لجلادها بنظرة مُجابَهة مفعمة بالشر، وسكن الموقف تمامًا؛ ليبدو وكأن عقارب الزمن قد توقّفَت عن الدوران، بعدها استعادَت عينا المرأة حالتها الطبيعية، وكرَدّ فعل تلقائي انتبه الرجل إلى أنه لا يزال يحمل سلاحًا فتاكًا، فهمَ أن يُشهِر

خنجره الماسي؛ ليعيد الكَرّة وينقضّ عليها مرة أخرى، ولكن السيدة كان رد فعلها خاطفًا، أطلقت فيما يشبه مواء قطة ساخطة منزعجة، وهي تنفصل عن السقف لتهبط خلفه، وبضربَةٍ قوية مباشرة من باطن كفها لطمَت سلاحه؛ فأطاحت به بعيدًا في أحد أركان الحجرة؛ فدار على عقبيه مزمعًا الفرار، ولكنها عاجلته بأن أمسكت بتلابيبه، ورفَعَتْه عن الأرض كما لو كان مجرد دمية صغيرة، هاتفَةٌ في لهجة تعُجّ بالتأفّف والتبرَّمَ:

- على رسلِكَ يا رجل، إلى أين تفرّ مني؟!

على إثر الجَلَبَة العنيفة استيقظ خادمها النحيل من نومه فزعًا، وبصوت أجشّ أصدر همهماتٍ غير مفهومة، تُبَرْهِن على كونه أَبْكَم، وهو يهرع صوب حجرتها لمؤازرتها، ولم تُعِرْه اهتِمامًا، وأخذت تُشدّد من ضغطة ذراعها على القصبة الهوائية للرجل الذي أيقَن بأن حياته في خطر داهم بعد شعوره بآلام رهيبة تغزو عنقه، والهواء يحتَبِس عن صدره، وحاول الاستنجاد؛ فخرج صوتُه مُتحشرجًا، وكان على شفَا الاختناق حرفيًا، لولا أنها -ولِسبب ما- طَرَحَتهُ عَلَى الأرْضِ؛ فاندفع إلى الخلف في عنف، ثم دار جسده حول نفسه رأسيًا؛ ليسقط على وجهه وكل عظامه تئن ألمًا، فنظَرت إليه شَزَرًا، وهى تصيح في بُغْضٍ بغلظة هادرة:

- ذُق من كأس ناري، جزاءً ما اقترفَت يداك أيُها السافل.

قالتها وهي ترفع قبضة يدها، وتكوّرها لتتألق ويصدر منها برق مفاجئ، دفعته دفعًا نحو غريمها الذي دار بجسده دورة خاطفة مكّنَتْه من تفادي كرة البرق الصاعقة، التي ارتطمَت بجدار الكوخ الخشبي، ثم واصلَت طريقها لتنفُذَ منه إلى الخارج، بعد أن أضرمَت النيران في خشبِه، وبلغَت ثَوْرَةُ الغَضَبِ ذروَتها بالسيدة وهى ترى الرجل يطلق

ساقيه للريح؛ ليخرج من الكوخ، وظل يركض ويركض؛ فصاحت في خادمها النحيل، هاتفة في امتعاض:

- هيا أيُها الأبله أخمِد هذه النيران، وأنا سأذهب للانتقام من هذا المجرم الأخرق.

اندفَع خادمها نحو مركز النيران محاولًا الحدّ من انتشارها؛ لتسود جنبات الكوخ فوضى عارمة، مع ارتفاع ألسنة لهبٍ راحَت تلتهم أخشابه على نحو مخيف، في تلك الأثناء انطلَقَ القاتل يعدو بقلبٍ واجف وهو ينظر خلفه بَيْنَ الفينَةِ والأخرى، وفي نفسه وَقَرَ أنه قد أصبح مُطاردًا بمنتهى الصّرامة والشراسة، ظل ذلك الهاجس يؤرقه ويشغل تفكيره، حتى أنه لم يشعر بأنه يطَأُ موطِئًا خطرًا، فبسرعة وجد أطراف شبكة صيد مصنوعة من خيوط الصُلب القوية ترتفع لتحيط بجسده إحاطة السوار بالمعصم، وحملته إلى الأعلى قبل أن يرتطم جسده بغصن شجرة بكل قَسَوة، ولم يلبَث أن ارتاع قلبه وارتعدت فرائصه، بعد أن صار أسيرًا بين المطرقة والسندان؛ فأخذ يقاوم الشبكة المعدنية ويضربها في استماتة، ولكن سرعان ما تبيّن له أنه لا جدوَى من المقاومة؛ فآثَرَ الرضوخ بالاستسلام المؤقت، انتظارًا لما ستتّخذُه حياله السيدة التي اتجهَت إليه بناظريها في شماتة واضحة، وهي تُصيح في غطرسة بلهجة عدوانية صارمة:

- ها نحنُ ذا نلتقي مرة أخرى يا صائد السحرة، ولكن الآن تبدّل الحال؛ فأصبحتَ أنتَ الفريسة وأنا الصياد.

عقدَت ساعديها أمام صدرها، واستطردَت تهتف في حزم لا يعرف المراوغة بصيغة استفهام تتوق لجواب:

- لماذا تُريد قتلي بهذا السعَارِ المحموم؟!

من شدة خوفه وَجَم صائد السحرة عدة لحظات، قبل أن يرد في تسليم:

– العالم مكانٌ سوداويّ طالما ظل السحر يُعربد فيه، وقد قررتُ تخليص البشرية من عُتاة أشرار السحرة ذائعي الصيت أمثالكِ يا (شيراز).

كوّرَت قبضتها لتلظَى بنار متأججة، وهي تُدمدم في غيظ دفين:

– تتحاكَى عن الشرّ؛ إذن فلتَنَلْ نصيبًا موفورًا من عذابي الأليم.

على الفور أيقَن أنه فِي عِدَادِ الْمَوْتِ؛ فحاول في لحظاته الأخيرة أن يُداري اضطرابه ليَبدُو متماسكًا ولو ظاهريًا، ولكن رغمًا عنه خذَلَه صوته فخرج متلعثمًا، وهو يهتف صاغرًا:

– أتضرع وأطمع في عفوكِ يا ذات القلب الرءوم.

ران الصمت لبُرْهَةٍ قصيرة من الوقت، ثم بغِلْظَةٍ سألته (شيراز) في اشمئزاز، وهي مُقطبة الجبين:

– وما القُرْبان الذي ستقدّمه نظير عتق رقبتك يا أسيري العنيد؟!

طافَت بمخيلته الأهوال الفظيعة التي خاضَها حتى حاقَت به هذه المصيبة، ولذلك فقد بدَر في ذهنه عرضٌ قد يُنجيه من الهلاك؛ فتعلق بحبال الآمال المهترئة، وهو يجيبها بنبرة تحمل رنّة الضراعة والتوسل:

– في مُقابل عفوكِ سأدين لكِ بحياتي، وأصبحُ خادمك المُطيع.

انفرجَت تقطيبة جبين (شيراز)؛ فهزت كتفيها، وقالت في بساطة وثقة تُحسد عليها:

- تستهويني بالفعل فكرة العفو عنك تقديرًا لقلبك الشجاع وبسالتك النادرة، ولذا فقد قررتُ أن أهبُك صفحي الجميل.

قالتها وهي تدفع كرة لهب باتجاه الحبال المُتصلة بقمة الشبكة؛ فوجدها تهوي به لتعيده إلى الأرض، وهي تستطرد مُستفهمة في تَشَفّ واضح:

- بمَ تُدعَى يا صائد السحرة سابقًا؟

بأسارير مُتهلّلة أخذ يُحرّر نفسه من حَبَائِلَ شبكة الصَّيْدِ، وهو غير مصدق خروجه سالمًا من هذا الكَمِينَ المحكم، ثم سرعان ما تغيّر حاله إلى النقيض؛ فانحني بجذعه وخفض عينيه، وأجابها في مذلة:

- عبدُكِ المطيع (شيكان) في خدمتك يا سيدتي.

- كلّا، بل سيكون اسمُك مُنذ هذه اللحظة (ألفا)، وستُشكّل مع الخادم (بيتا) فريقًا رائعًا لخدمة أهدافي الشريرة.

***

ران الصمت والسكون للحظات، قبل أن يقف (خازام) مطأطئًا رأسه، وسار بخطوات متثاقلة حتى وصل لحدود الخط الفاصل بين الظلام والنور، وكان في انتظاره (شازام) بأوداجه المنتفخة ووجهه الدميم وذيله الذي يتلاعب خلفه، ولم ينبسّ الأول ببنت شفة وهو يخطو بجرأة ليعبر إلى الجانب المظلم؛ فتلقّفَه الأخير وبلا رحمة أو هوادة، راح يعتصر عنقه النضر اعتصارًا بيديه العاريتين، ولم يتركة إلا بعد أن أجهز عليه تمامًا.

واكَبَ ذلك أن كسَا الأسودُ على الأبيض؛ ليصطبغ كل شيء بالسواد، وابتسامة (شازام) الشيطانية تتسّع وتتسع؛ لتضفي على المشهد القاتم شرًا مستطيرًا فاق كل الحدود.

شيماء أحمد..

(11) ملكة كل العصور

كانت مريم متيمة بها، إنّ ما تشعر به تجاهها ليس حبًا عاديًا، بل هو شغفٌ وصل للجنون؛ فقد كانت تراها ملكةً لكل العصور، فهي الملكة التي مزجَت بين جمال البطالمة وسحر الشرق، إنها القوة.. والأنوثة.. والذكاء.. والفتنة التى خطفت لب الملوك، وقد كانت مريم مجنونة بالبحث عن كل ما يخصّ معشوقتها؛ فقد بلغ عدد الكتب التى اشترتها لأنّها تحمل سيرتها عشرين كتابًا، ولم تكتفِي بذلك، بل راحت تجوب المواقع الإلكترونية ومجموعات المهتمين بحياة الفراعنة؛ لتتزود بالكثير من المعلومات عن ملكتها، وقامت بعمل موقع إلكتروني دشّنَت فيه ما عرفته، وفى يوم ذهبَت لتبتاع بعض الكتب، وهناك أذهلَتْهَا المفاجأة؛ حيث وقع نظرها على مجلد قديم تكسُوه الأتربة، وتعلوه عشرات الكتب؛ فلا يبدو منه إلا طرف ظهرت منه رسومات فرعونية رائعة أخفاها الثّرَى، فبالكاد ظهرَت باهتة؛ فأبعدت الكتب وتناولته بحرص شديد خشيَةَ التمزّق بين يديها، قادتها روحُها نحوه بشغف شديد، وجحظَت عيناها، إنه كتاب بالإنجليزية المعزّزَة ببعض المصطلحات الفرعونية، كتبَه عالم بريطاني قديم.... إنه كنز، هكذا ردّد قلبها وهو يكاد يقفز من بين ضلوعها فرحًا، ثم هدّأَت من روع قلبها، ورسمَت اللامبالاة على وجهها، وقالت للبائع وهي تنفضُ التراب عن الكتاب وهي تمثل اللامبالاة وتعزّزها بنبرة برود.

- بكَم هذا الكتاب الرث ذائب الأوراق؟

فأجابها الرجل مدافعا عن الكتاب:

– إنه كتاب قيم، وهو بخمسين جنيهًا.

فقالت معترضة:

– إنه ممزق، ورَثّ، سأعطيك فيه ثلاثين جنيهًا، إنه كتاب قديم جدًا ومنتهي الصلاحية، من كان سيشتريه منك؟!

قالتها بعدم اكتراث لنظرات الرجل، فقال:

– سأعطيكِ إياه بخمسة وثلاثين جنيهًا.

فناولته المبلغ، وقد لغَت فكرة البحث عن أي كتب أخرى وكأنها وجدَت ضالتها في هذا الكتاب، وتوجّهَت لمنزلها وعجّلَت الخُطَى لغرفتها؛ فقد كانت ملهوفة للاطّلاع على محتوى الكتاب، ثم جلسَت على سريرها وفتحت الكتاب بحذر، وكأنه طفلها تخشَى عليه من الهواء، وراحت تقرأه بنَهَمٍ، متجاهلة نداءَات والدتها لتناول الطعام؛ مما اضطر الثانية لإحضاره إليها في غرفتها؛ لمَا تعرفه من جنون ابنتها بالقراءة والكتب، ولَمْ تسلَم مريم كالعادة من توبيخ أمها، ولكنها لم تبالي، بل أخذَت تنهل من الكتاب بشغف، حتى أوقفها النوم، وفي المنام وجدَت نفسها أمام أجمل امرأة في التاريخ، بزيّها الفرعوني؛ فألقَت عليها التحية قائلة:

– مرحبًا عزيزتي مريم.

فجحظت عيناها متسائلة:

– أهذه أنتِ ملكتي المبجلة؟!

– بلى عزيزتي، وقد جئتُكِ خصيصًا.

قالت بتلعثم:

– جئتيني أنا؟!

– بلى جئتكِ أنتِ، وجئتُ لأعرض عليكِ أن تكوني مساعدتي؛ لأني أعرف أنكِ تحبينني بصدقٍ وإخلاص..

فقاطعتها مريم وقد اغرورَقَت عيناها بالدموع:

– بلى أحبكِ جدًا ملكتي المبجّلَة، وأنا لا أصدق أنني أمامك أحادثك، أنا في قمة السعادة.

– أعرف عزيزتي، ولم أنسَ لكِ ذلك، وسيكون لكِ شأنٌ عظيم، وسأكافئك؛ فقد اخترتُكِ دون الجميع لتكوني مساعدتي وذراعي اليمين.

برقَت عيون مريم، وتمتمَتْ متسائلة باندهاش:

– أنا؟!

– بلى أنت ِ يا عزيزتي.

– وكيف ذلك سموّ الملكة؟!

– سأخبركِ، ولكن عليكِ أن تنصتي وتستوعبي ما سأخبركِ به، أغلب ما جاء عني في الكتب التى قرأتيها ليس صحيحًا؛ فتلك المقبرة التى وجدوها ليسَت مقبرتي، وذلك الجثمان اللعين ليس لي.

– كيف ذلك سموّ الملكة؟! فقد وجدوا بعض النصوص.

– لقد ترجموها بطريقة خاطئة، كما أننا استخدمنا بعض أساليب التمويه حتى لا تُسرق المقبرة، وهذه المقبرة التى عثروا عليها هى مقبرة إحدى وصيفاتي.

– يا الله! لقد ظننّاها لكِ طوال هذه الأعوام مقبرتك.

– اسمعيني عزيزتي.. علينا أن نتّفق.

- كلي آذان مُصغِية سموّ الملكة.

- عليكِ ألا تُخرجي سِرّي لأحد، وإلا حلّت عليكِ لعنتي.

- لن أفعلها مولاتي، لن أخبر أحدًا، صدقيني، أرجوك ِ لا تؤذيني.

- حسنًا... سآخذكِ لرحلة لحياتي السابقة، وأريكِ كيف كانت مملكتي، وأصحّح لكِ بعض المعلومات، أما غدًا فستأتين معي لمكان مقبرتي، وسأنزع روحك من جسدك لبعض الوقت، وأجعل روحي تخترق جسدك وتتغلغله، حتى أقوم باستخراج التابوت الذي يضم جسدي، وأخرج من جسدكِ وأعيدُ روحي لجسدي وتتحقق رحلة البعث والخلود، وأعود ملكة لهذا الكون، ملكة كل العصور.

وشردت مبتسمة لنسائم الحلم، ثم لاحظَت الرعب الذى ارتسم على وجه مريم، وجبينها الذي تصبّب عرقًا في عزّ الشتاء وهي تتمتم متسائلة بشرود:

- تنزعي روحي! وتتغلغل روحكِ جسدي؟!

- لا تخافي من شيء، فقط ثقي في ملكتكِ الحبيبة، سأكافئك، وأجعل لكِ شأنًا عظيمًا، وتكونين مستشارتي على مر العصور.

- أنا أصبح مستشارتكِ وتكافئينني؟!

- بلَى، لو نفّذتي أوامري وأطعتيني، وإلا.........

فقالت مريم منتفضة من شرودها:

- سأطيعكِ سموّ الملكة بالطبع، وهل أستطيع عصيانك، وأنا أكثر الناس معرفَةً بطرق انتقامك ونتائج غضبك! سأكون خادمتك الوفية؛ فشرف لي أن أكون خادمة الملكة الخالدة كليوباترا الجميلة الذكية.

قالَت كليوباترا وقد ملأها الشموخ، وزهَت روحها من نسائم التمجيد التى هبّت عليها:

- بوركتِ عزيزتى، فقد كنت أعلم أنك لن تخذليني، وأنكِ أذكى من أن ترفضي عرضي وتضيّعي فرصتك، والآن أنصتِ لي جيدًا.. غدًا سآتي لأخذك لمقبرتي، أمّا الآن فتعالي معي في رحلة لعالم ملكتك القديم.

وأخذتها في رحلة إلى قصورها، ومعابدها، وحياتها السابقة، وانبهَرَت مريم مما رَأَت ولم تستطع النوم بعد عودتها، وكانت شاردة طوال اليوم بعد رحيل الملكة وانتهاء مغامرتها، وظلّت تفكر.. تُرَى هل أستسلم لأوامرها؟ الآن فقط مصير العالم كله بيدي، أأتركُ كليوباترا تعود لتحكم العالم؟! أنا أعشقها، لكن لا يمكنني خيانة البشرية بأكملها من أجل حبي لها؛ فقد تغير العالم، وبات حلم البعث والخلود مستحيل، ورجُوع حكم الفراعنة أكبر مستحيل، لا نستطيع العيش تحت إدارة من الماضي البعيد، ظلت تفكّر وتفكر حتى غرقَت في التفكير، وأعياها الفكر.

وفى المساء اشتدّت ضربات قلبها حينما رأت كليوباترا قادمة نحوها وهي تلقي عليها التحية بإبتسامة صفراء، ثم قالت لها:

- هل أنت ِ مستعدة عزيزتي لتنفيذ أوامري؟

فقالت لها مريم بلسان يرتجف وعيون مغرورقة بالدموع:

- بلى يا سموّ الملكة.

فابتسمت الملكة ابتسامة مَن خَطَى أُولَى خطوات النصر، ثم اقترَبَت منها وربتَت على كتفها وأخذت تطمئنها، وتحكي لها عن ذلك المجد الذي ينتظرها، وذلك النعيم الذي ستكافئُها به، ثم اقترَبَت منها

وأخذت تتمتِمُ ببعض الكلمات غير المفهومة، ثم نزعَت روحها بقوة السحر، وتغلغَلَت روحها جسد الفتاة، وذهبت نحو مقبرتها، وما أن استخرجَت التابوت بقوة السحر حتى رسمَت ابتسامة النصر على شفتيها، وقبل أن تخترق روحها الجسد القابع في التابوت وجدَت لفيفًا من رجال الأمن ووزير السياحة، وتحفظوا على التابوت؛ فصرخت صرخَةً مدويّة هزت الكون وقتلت روح الفتاة، وهامت في الكون غاضبة.

أما الوزير فأمر بإحضار الطبيب الشرعي الذى أدلَى بتصريحاته بأن جسد مريم كان باردًا وقت حضور الوزير والأمن؛ مما يدل على خروج روحها قبل حضور الوزير، ومما يؤكّد صدق ما ذكرَتْه للوزير في بلاغها على موقع وزارة السياحة؛ فقد ضحّت الفتاة بروحها حفاظًا على البشرية، وأوقفَت حُلم كليوباترا، وكانت السبب في ذلك السبق الأثري العظيم واكتشاف أهمّ مقابر الملوك، ألا وهي مملكة أعظم الملكات على مرّ التاريخ، وأمر الوزير بإطلاق اسم مريم التي أصبحت حديث الصحف والمواقع الإلكترونية على أحد المتاحف.

شيماء الحسيني..

(12) السلاح الصامت

– لقد مللتُ يا دكتور.. أنا لم أفقِد من وزني سوى خمسة كيلو جرامات فقط منذ أن وطئَت قدمي هذه العيادة، ثلاثة أشهر مرّت دون جدوى، بالرغم من وعدك قَبلَ بدءِ الجلسات بفقدان ما يقرب من ثلاثين كيلو جرام، إلا أن هذا لم يتحقّق إلى الآن، ما هو الحل؟!

نطقَت (غادة) هذه الكلمات في حنق وغضب وهي تخاطب (شريف) طبيب أمراض السمنة والنحافة المعالج لها.

التفَتَ ناحيتها وهو يقول في هدوء:

– سيدة (غادة)، حالتُكِ تحتاج وقتًا أطولَ من المعتاد، أرجو أن تتحلّي بالصبر، لقد عرضتُ إجراء عملية ولكنكِ رفضتِ وتريدين الاستمرار على كبسولات التخسيس، وفي الوقت ذاته لا تساعدين نفسك، ألم أخبرَكِ مرارًا وتكرارًا أن ممارسة الرياضة بانتظام، خصوصًا رياضة المشي والإقلاع عن تناول السكريات والوجبات المشبعة بالدهون، سوف يكون له تأثير كبير على جسدِك، وسوف يساعد على التخلص من الوزن الزائد؟

أجابته في حدة:

– لقد أخبرتكَ قبْلَ أن تقبلَ حالتى أني أعشق السكريات، ولا أستطيع الإقلاع عنها..

قاطعها في حدة مماثلة:

- حسنًا، سوف نجرب أحدثَ كبسولات التخسيس، ولكنها مكلّفة قليلًا، لقد أحضرَها صديقٌ لي من (فرنسا) أمس فقط.

أجابته في لهفة:

- أعطني إياها سريعًا، لقد أخبرتكَ مسبقًا لا تهمّ الأموال.. المهم هي النتيجة النهائية.

أخرج علبة مستطيلة من درج مكتبه وخطّ بضع كلامات على الروشتة وأعطاها لها، وهو يقول محذرًا إياها مرة أخرى:

- تفضلي... سوف تأتي بمفعول، لكن لابد من الإقلاع عن السكريات والدهون.

نظرت له في شراسة، فازدَرَد لعابه؛ فأكمل في سرعة:

- على الأقل يمكن تخفيض الكمية، لقد كتبتُ طريقة الاستعمال، وسوف نتابع الأسبوع بعد القادم.

مرت أسابيع ولم تحدث استجابة منها، تكرّر نفس الحديث مرات عديدة، فكّر قليلًا، ثم نظر إليها في تمعّن، قبل أن يهتف في اهتمام:

- حسنًا، سوف نستخدم أحدث تقنيات العالم.

مدّ يده وأخرج محقانًا من مكتبه، قبل أن يكمل:

- هذا المحقن يحتوي على مواد مضادة للأكسدة، من شأنها أن تجعلكِ تفقدين ما لا يقل عن عشرة كيلوجرامات أسبوعيًا، ما رأيك؟!

أجابته في لامبالاة:

– لا يهم الوسيلة، المهم أن أفقد وزني بأية وسيلة، لن أعترض إلا إجراء العملية.

فردَت ذراعها وأمسك يدها، ثم دفع المادة البيضاء التي يحتويها المحقن برفق، قبل أن يغمغم في لهجة أقرب إلى الاعتذار:

– صدقيني هذه أفضل وسيلة، لا ألجأُ إليها إلا نادرًا.

استلقَت على الأريكة في استرخاء، وهي تقول في ضعف ووَهَن:

– دكتور، أنا أشعر بالنعاس الشديد.. رأسي ثقيلٌ للغاية.

هتف في لامبالاة:

– لا تقاومي.. استرخي.

كانت تجد صعوبة في إبقاء عينيها مفتوحة؛ لذلك أغلقتها وهي تغمغم بصوت منخفض:

– ماذا فعلتَ بي؟! ما الذي حقنتني به؟!

أجابها بكل هدوء:

– لا تقلقي.. سوف أقوم بقطع هذه الأجزاء الزائدة التي لا تعجبك.. أخبريني بماذا أبدأ؟

ولكن (غادة) لم تستطِع سماعه، لقد سرَى المخدّر في جسدها بأكمله وفقدت الوعى.

حينها أمسك المشرط تمهيدًا لإجراء الجراحة..

بعد مرور ما يقرب من ثلاث ساعات تم الانتهاء من قطع الأجزاء الزائدة، وحاول إفاقتها، وبعد جُهدٍ جبار أفاقت.. وبعد أن استوعبت ما حدث.. حتى ارتسَمَت على ملامحها أقصى درجات الفزع.

وبعد أن أحضر لها مرآة كبيرة لتشاهد جسدها بعد التعديل.. حتى انخرطَتْ في نوبة بكاء مرير!

لقد فقدَت ما يقرب من ثلاثين كيلو جرامًا!

كما أن خصرها اختفَى تمامًا، كما أن يدَها وقدمها بها العديد من الجروح والحروق.

هتفَت في هلع:

– من أَذِن لك بالموافقة على هذه المجزرة المروعة؟! أنتَ لستَ طبيبًا.. أنتَ جزار.

ضحك بصوتٍ عالٍ، ثم قال متسائلًا:

– ألم يكن هذا مطلبك؟! ألم أجرّب كل الطرق معكِ وفشلتُ بسبب نهمك الشديد للطعام والشراب، لم أجد سوى هذا الحل الوحيد، لقد نجحَت العملية وأصبح جسدُكِ رشيقًا كما تمنيتِ، لماذا البكاء والعويل؟!

هتفت بصوت مختنق:

– كان يجب أن تستشيرني.. لو أخبرتَني بفشلك وعدم جدوى العلاج لكنتُ ذهبتُ إلى طبيب آخر.

أجابها:

- لايمكن أن أسمح لكِ بالتفوّه بكلمة أن الطبيب (شريف) فاشل.. أو لَم يستطِع علاجك.

ذرفت دموعها غزيرة، ثم أخيرًا استسلمَت للأمر الواقع.

بعد مرور عدة شهور، تلقّى اتصالًا هاتفيًا، فأجاب قائلًا:

- (شريف) يتحدث.. من معي؟

رد الطرف الآخر:

- أنت لا تعلم من أنا، لكن أنا أعلم أنكَ طبيب ماهر، شهرتُك تسبقك، أنا (علاء) سكرتير رجل أعمال شهير، وبعد التحرّي عنك وعن مهاراتك كلّفني بالاتصال بك؛ فهو يرغب في الحصول على استشارتك، لكن لا يريد أن يعلَمَ أحد بذلك، أنت تدركُ تعقيدات رجال الأعمال، أليس كذلك؟ بالإضافة إلى أنه سوف يدفَع الثمن مضاعفًا.

تهلّلَت أساريره وهو يجيب:

- بالطبع أعلم ذلك، حسنًا متى يريد الحضور؟

أجابه قائلًا:

- في الواقع أنت من سيحضر إلينا، سوف تحضُر سيارة تقِلْك للقصر غدًا في الثامنة مساءً، قم بإلغاء أية ارتباطات غدًا، وسوف نتكفل بكافة المصاريف لا تقلق.

هتف بسرعة:

- حسنًا، سوف أحضُر في الميعاد المحدّد.

ثم أغلق الهاتف وجلس يفكّر في الأرباح التى سوف يجنيها.

مرت الساعات سريعًا وحضرَت السيارة بالفعل، وبعد مرور نصف ساعة وصل إلى قصر مهيب، وما أن هبط حتى وجد في استقباله (علاء)، وهو يبتسم قائلًا في مودة:

- مرحبًا بك يا سيدي، تفضّل بالدخول.. السيد (فادي) في انتظارك.

تقدّم إلى القصر وهو مبهور بالأثاث واللوحات الفنية، وبعد قليل حضر الخادم وقام بتقديم عصير ليمون، تناول الكوب وهو يقول مخاطبًا (علاء):

- متى سيحضر السيد (فادي)؟

ابتسم وهو يجيب إجابة مختصرة:

- قريبًا.

بعد أن تناول العصير أحسّ بدوخة وزغلَلَةٍ في عينيه، حاول أن يرفع يده إلا أنه فشل.. وفقد الوعي.

مرّت ساعتان ثم استعاد وعيه؛ ليجد نفسه في غرفة مغلقة، أشبه بحجرة العمليات.. حاول أن يصرخ، لكن تبيّن أن هناك لاصقًا طبيًا على فمه.. حاول أن يهرب، كانت يداه وقدماه مكبلتَين.

ما الذي حدث؟!

تذكّر ذهابه إلى القصر، لابد أن العصير به مخدر..

لكن لماذا تم تخديره؟!

قبل أن يسترسِلَ في ذكرياته فتح باب الحجرة وطالَعَه وجه رجل، وقف أمامه وهو يقول:

- كيف حالكَ أيها الطبيب؟! لقد علمتُ أنك طبيب قدير، ويكفي ما فعلته لزوجتي من اهتمام، حتى فقدَت الكثير من وزنها.

ابتسم إبتسامة خفيفة، ثم أكمل:

- لذلك قررتُ مكافأتك.

ثم أشار بيده قائلًا:

- تقدّمي.

فتح باب الحجرة وطالعَهُ آخر وجه يتمنى رؤيته..

وجه (غادة)..

ابتسمت وهي تقول في سخرية:

- لقد أردتُ شكركَ على حسن معاملتك، وأيضًا لك الفضل في فقدان وزني.

ثم اكتسَى وجهها ببعض الصرامة وهي تقول بصوت حزين:

- وأيضًا بعض أجزاء من جسدي؛ لذلكَ قررتُ مكافأتك ورد الجميل إليك.

ارتسمَت أبشع علامات الفزع والرعب على وجهه، وحاول الصراخ إلا أن اللاصق حال دون ذلك، قبل أن تمسكَ مشرطًا جراحيًا وهي تقترب منه أكثر:

- لكن بما أنك في قصرنا المتواضع.. فلقد رأيتُ أن المكافأة يجب أن تكون مضاعفة.

نزعَت قميصه وهي تقول:

- بالطبع أنا لستُ طبيبة ولا أعلم مكان الأعضاء مثل الكبد والطحال وما إلى ذلك، لكننى سوف أستكشف بنفسي.

مدّت يدها على صدره، ثم توقّفَت وهى تغمغم:

- لا هذا القلب، سوف نتركه للنهاية!

ثم انتبهَت إلى أمر غاية في الأهمية، فهتفت:

- معذرةً؛ لا يوجد لدينا مخدر موضعي، لقد رأيتُ أننا لن نحتاجه.

ثم أطلقَت ضحكة ساخرة..

خبيثة..

ثم بدأَت..

ياسر الشاذلي..

(13) البئر

وسط عتمة الليل تقدّمَت بخطى متوجّسة، تخوض وحدها طريقًا لا يخوضه أشجع الرجال إلا في جماعة ومسلحين.

ولكن نار الغضب والحقد بداخلها تمحنها قوة وصلابة، يداها تقبض بقوة على ما أخفته بطرحتها السوداء، تشعر أنها ليست هي! بل شخص آخر أقوى وأقدر، اقتربَت بين صفين من الأشجار الباسقه حتى بلغته..

البئر المهجور مصدر الرعب والأساطير التي لاتنتهي في القرية، ولكنها لا تهتم.. الليلة هي الرعب، لو خرج لها ألف عفريت ومارد لنازَلَتْهم وهزمتهم، أخرجت من تحت طرحتها سبب قوتها وشعورها بالتفوق.. رضيع لم يتجاوز الشهرين، رفعته وتأمّلَته بقسوة وكراهية، ساكن صامت صمت أبديّ بعد أن كتمَت أنفاسه منذ قليل، من؟! مَن مِن الجن والشياطين يقوى علي فعل ما فعلت؟

أن يتأمّل هذا الوجه البريء الملائكي ثم يقدم على قتله! هي فعلتها بثبات وبلا تردد، تقدمَت في الفراغ المحيط بالبئر وهي تهمس بصوت كالفحيح:

– لقد أقسمتُ لأحرقنّ قلبَكِ أيتها العاهرة المتفاخرة، وقد صدقت، هاكَ رضيعكِ جثّة ستتعفن في البئر ولن تجدي له أثرًا.

كانت قد بلغَت حافة البئر ورفعته عندما شهق الرضيع بين يديها؛ فأجفَلَت تردّدَت لثوانٍ وهي تراه يتحرك بين يديها تتلاحق أنفاسه، أرادت الرحمة آن تستيقظ من موتها بداخلها؛ فسارع الحقد

والكراهية لوأدِها، فاستجابت لهم وسارعت تُلقِي بالرضيع في البئر وسط صراخه الفَزِعِ المتألّم المكتوم، وقفت لاهسة على أطراف البئر حتى سمعت ارتطام جسد الرضيع وصمت صرخاته، عندها -وعندها فقط- غادرها شعور القوة والقسوة الزائف؛ فقد أدَّت مهمتها، ذهبت الشّجَاعة المدّعاة وعادت مُجرمة فَزِعة تتلفتت حولها مرعوبه.

هل ترى حول الأشجار ظلالًا سوداء طائرة تتوارَى وتظهر؟ أم تتوهم؟

وعلي الأرض هل تزحف صوبها ألوف الحيات السوداء؟ أم هو خيال؟

اللعنة! هناك وحش يتسلّق بجدران البئر آتٍ إليها تسمع احتكاك مخالبه... انطلقَت تجري هاربة من خيلات الوهم المرعب لا تلِوي علي شيء.

***

بعد الحادث بيومين قبل غروب الشمس كانوا هناك في البقعة الخالية حول البئر أربعة من شباب القرية، كما اعتادوا منذ طفولتهم.. يتسلّلون إلى ذلك المكان يمارسون اللعبة المفضلة للأطفال.. عصيان أمر الكبار وتحذيراتهم وإشباع الفضول، ثم لعبة إثبات الرجولة والشجاعة في شرخِ المراهقة الأول، ثم لعبة نحن رجال مثقفون ناضجون لا نخاف من أساطير العجائز.

كان أحدهم يتحدث بحماس:

– لن يستمر الوضع هكذا، رياح التجديد آتية، لن يصبر الشعب على هذا الفساد والظلم صدقوني.. أقرب مما تتوقعون.

أحدهم ضاحكًا وهو يشير لثالثهم:

- إهدأ يا (جاد).. معنا شرطي هنا.

(جاد) بثبات:

- (عدنان) مثله مثلنا.. من الناس.. يشعر بالظلم والفساد يا (حكيم).

(عدنان) ضاحكًا:

- أولا أنا في أجازة، عملي في العاصمة، ثانيًا (جاد) ليس صديق، بل أخ عزيز.. فخر القرية، يكفي أنه من القلّة الذين يدرسون في الجامعة؛ فهو جاري أيضًا في العاصمة.

أشار (حكيم) للرابع الذي يجلس شاردًا:

- هاي (فوّاز) ما بك يا رجل؟

(فواز) بقلق:

- الغروب اقترب، همُّوا بنا نغادر هذا المكان.

(عدنان) ضاحكًا:

- ما زلت تخاف البئر وتصدق حكايات العجائز.

قالها ثم رفع حجر وقذفه بقوة نحو البئر؛ فاصطدم بفوهته الحجرية ثم هوى داخله، أجفل (فوّاز) وقال بتوتر:

- لماذا فعلتَ ذلك يا (عدنان)؟

(حكيم) وهو يصوّب حجرًا نحو الفوهة مباشرةً:

– انظر كيف يكون التصويب يا شرطي، وأنت يا (فواز).. طوال هذه السنين وما زلت تهاب البئر!

(جاد) وهو يرفع حجرًا فيلقيه في البئر:

– يا (فواز)، هذه قصص للتسلية، أجدادنا يحكون عن حدث سمعوا عنه ولم يعاصروه، الأجانب الذين أتوا يحفرون هنا وفي القرى المحيطة.. والتماثيل المرعبة.. واللوحات الحجرية المنقوشة التى استولوا عليها وهرّبُوها.

(حكيم):

– أجل، والقصة كلها مصدرها شخص يُدعَى (زيدان) المخبول، كان يدور في القرى ويدّعي أنه كان معهم ورأى ما رأى.

(جاد) وهم يهمون بالرحيل:

– ما الأخبار؟ هل عثروا على الرضيع المختفي؟

(حكيم) بأسَى:

– كلّا.. كان الله في عونهم، وكأن المصائب لا تأتي فرادًا، زوجة عمه داهمتها سيارة على الطريق ولقِيَت مصرعها، يقولون أنها من يوم اختفائه ذهب عقلها من الصدمة، وكانت كالمجنونه حتى لقَت ربها.

***

بعد الحادث بأسبوع...

لم يهتم رئيس الورديّة الليلية في المصنع لهيئة (حكيم) المرعبة بنظراته الشاخصة ببريق مرعب، ولا جلسَته الثابتة بجوار الآلة التي

تدور، ولا مشيته المتصلبة نحوه صامتًا بينما يرفع عقيرته له بالسباب والتقريع.

لم يدقّق النظر في ملامح وجهه التي اكتسَت بتوحش لم يعتَدْهُ أحد من (حكيم)، ولكن (حكيم) كان يدقّق النظر باهتمام في تفاحة آدم البارزه في عنق رئيس الورديّة، اهتمام شديد حتى أنه أطبَقَ فكّيه عليها وانتزَعها نزعًا، قبل أن يلتفتَ بوجه غارق بالدماء لزملائه الذين جمّدَهم الرعب، ويزأر زئيرًا ارتجّ له المكان وهو يتقدم يرفع أحدهم ويدفعه متحطمًا على الجدار، بينما يقبض على عنق الثاني ويلقي به ممزقًا على السير.

في نفس الوقت هناك في العاصمة وسط الظلام، كان (عدنان) يعوِي عواءً لا يخرج من بشر مهما حاول وهو يسحق رأس شاب بضربة واحدة من هراوته، بينما امتدّت يده الأخرى نحو فتاة بجوار الشاب تصرخ بهلع، ينزع فكّها السفلي؛ فأخرسها للأبد.

كثيرون سيرجعون أسباب المصادمات الدامية التي اجتاحت البلاد لهذا الحادث، أو للحادث الآخر عندما اندفع (جاد) وهو يطلق صيحات هادرة، ويقفز على عنصرَي شرطة في تأمين مظاهرة، ويضرب رأسيهما ببعضهما البعض؛ فيسحقها سحقًا، قبل أن يفقع بأصابعه عيني ضابط ويلفّ عنقه عدة مرات حتى نزعها عن جسده، ويقف يرفعها وهو يطلق صيحات مجنونة.

****

بعد الحادث بأسوعين...

هو يعرف، لم يصدقوه، وها هم يدفعون الثمن، بل والبلد كلها تدفع الثمن، ولن يصدقه أحد لو تكلم!

كان (فواز) منكمشًا على نفسه في فراشه مرعوبًا، بالرغم من خوفه تأمل الأوراق الصفراء شديدة القدم، الأوراق التي أخذها جدّه من (زيدان) المخبول.

تأمّل الرسومات الباهته التي نقلها الأثري الأجنبي من المنحوتات الحجرية التي كانت في المنطقة، رسومات تظهر البئر وحشدًا من البشر الذين يقفون حوله يُلقُون الأحجار بداخله، وثم كيانات سوداء مرعبة تحلّق في السماء حولهم.

لذلك كان يهاب البئر، ولذلك لم يلقِ بحجر مثلهم، ولذلك نُجّيَ إلى حين.

***

عشرة آلاف عام قبل الحادث..

عند غروب الشمس..

هناك في الساحة المترامية الأطراف اصطفّ العشرات من الرجال المفتولي العضلات عراة الأجساد تمامًا، وقد غطَّت وجوههم الأصباغ.

عيونهم شاخصة إلى البئر؛ حيث وقف الكاهن يتلو صلاةً إلى وثن يصوّر مسخًا مخيفًا على قاعدة خلف البئر.

البئر الذي لا يعلمون عنه إلا أنه سحِيقٌ في باطن الأرض حيث الآلهة تسكن.

دوَى صوت؛ فظهرت.... متشحةً بالسواد.. ثائرة الشعر.. طويلة المخالب.. تبرق عينها وتزمجر... كاهنة الغضب والنقمة المكلّفَة بتقديم القربان، اقتربَت وهي تطلق صرخات مرعبة حتى بلغَت البئر، ناولها أحد السدنة القربان المطلوب؛ رضيع عمره شهور، تلقّفَته بعنف وهي تصرخ، وحملته بذراعيها في مواجهة الوثن، ثم ألقت به في غياهب

البئر، ثم رفعَت رأسها وعيناها شاخصة إلى أعلى، ورفعت يداها مشيرة وكفاها مبسوطتان، وصرخت بكلمات غير مفهومة، عندها انطلق الصوت الآمر للرجال؛ فتقدمَ كل منهم يحمل حجرًا ويلقيه في البئر، وما أن يفعل حتى يشعر أنه قد حاز قوة ونقمة وغضب عشرة مقاتلين.

حصل الإله على قربانه؛ فأرسل أرواح القوة تمتزج بأجساد المقاتلين، سيهلكهم الأمر ولكن بعد أن يكونوا قد دمروا الأعداء.

شاهيناز الفقي..

(14) الموتى يؤذُون أحيانًا

لماذا نخشى السير بين المقابر ليلًا مع أن الموتى لا يؤذون أحدًا؟! لم نسمع عن مُتوَفَّى خرج من مدفنه ليثبّت المارين ويسرق ما معهم، ولم نرَ قتيلًا يخرج من مقبرته ليأخذ بثأره، الموتَى مسالمون لا يؤذون بقدرِ ما يفعل الأحياء.

دارت تلك الخواطر في ذهني وأنا أمرّ بذلك الشارع الضيق بين المقابر، قرأت الفاتحة، توقفتُ عن السير حين لاحظت حركة مريبة وأصوات تنبعث من بين القبور، توقعتُ أن يكون أحد نباشي القبور الذين يسرقون الأكفان، أو لصوص الجثَث، وخاصة أننا في موسم امتحانات، وطلاب الطب يعرضون مبالغَ خيالية من أجل الحصول على جثة، أو يكون جماعة الحشاشين في المنطقة والذين يستغلون القبور ويحوّلونها لغرزة لتعاطي الحشيش وحقن المورفين بعيدًا عن أعين الشرطة، وقد يكون رجل وامرأة من أهل الحي لم يجدا مكانًا أهدأ وأكثر رومانسية من تلك القبور للموت عشقًا، استجمعتُ شجاعتي، ووضعت ذيل جلبابي في فمي ودخلت المدفن، وأنا ازعق بصوتي قائلًا:

- يا ساتر.. مَن هُناك؟!

لمَ لَم يأتني رد؟! أيقنتُ أن في الأمر شيئًا مريبًا، ربما هذا القبر مسرح لجريمة لم تكتمل بسبب وجودي، وربما أرسلني الله في الوقت المناسب لأحُول دون وقوعها، كان الأمر غريبًا؛ فقد رأيت عمّي وابنه يمسكون برجل من أهل قريتنا ويوثقونه بالحبال في أحد الأعمدة، كان

الرجل يصرخ طلبًا للنجدة بعد أن أطفأوا في جسده أعقاب السجائر، وكلّما علا صوته كلّما تعرض للضرب من أقاربي، سألتهم بدهشة عمّا فعله الرجل يستوجب العقاب، أجابني ابن عمي بصوته الأجش يحكي لي عما حدث قائلًا:

– سأحكي لك يا ابن عمي والحكم لكَ في النهاية.

أومأت برأسي أنتظر أن أعرف ما الذي يدفع عمي الرجل المسالم وابنه لخطف رجل وتعذيبه في المقابر، أشار ابن عمي للرجل وجذبه من شعره؛ ليرفع رأسه في حركة سينمائية رأيتها من قبل كثيرًا في أفلام نادية الجندي وهي تصرخ كعادتها:

– كما تعرف وأهل البلد كلهم يعرفون أننا نمتلك قطعة الأرض في الجهة الشرقية، وقد زرعناها موالح وفواكه، وكانت أرضنا بمثابة جنّة، وبنينا دارًا كبيرة وزريبة للمواشي، كل الأمور كانت على ما يرام.

نظرت لعمي أريد أن أعرف ما العلاقة بين جنّتهم وأفعال الشياطين التي يرتكبونها في حق الرجل! من ركل وضرب وتعذيب، قال عمي يكمل الحديث وهو يضع شريطًا لاصقًا على فمّ الرجل بعد أن حاول أن يستنجد بأحد المارة:

– هذا الرجل هو بسطويسي، تاجر الفاكهة والذي يحتكر فاكهة القرية كلها، لا يوجد فلاح يستطيع أن يبيع كيلو واحد دون موافقة بسطويسي.

زمجر الرجل ونظر لي بفزع وهو يحرك رأسه يمينًا ويسارًا في محاولة للتخلص من الشريط اللاصق، جذبه ابن عمي من رأسه مرة أخرى وصفعَه عدة صفعات، وأكمل حديثه قائلًا:

– كان الأمر يزعجنا، ولكن علاقاته بالعمدة وأعيان البلد كانت تمنحه سلطات كبيرة، وكل من يقَف في وجهه كان مصيره إما السجن

أو حريق يشب في أرضه، ولكن ليس هذا هو السبب فيما نفعله فيه الآن، ولكن هناك سبب أهمّ وجريمة أكبر يستحق عليها العقاب.

تحرك بسطويسي في كرسيه يحاول التملص والمقاومة، إلا أن ابن عمي عاجَلَه بضربة قوية فوق رأسه، وركله في بطنه بعنف حتى سالت الدماء من فمه، أكمل عمي وهو ينظر باحتقار للرجل، وقال بصوت يحمل ازدراءً:

– قد يتغاضى الإنسان عن مصلحته يا ابن أخي، ولكن هل يمكن التغاضي عن الشرف؟ ذلك الوغد الحقير استغل فرصة غيابنا واستطاع أن يغرر بابنتي ناديًا، اعتدَى هذا الحقير على شرف ابنة عمك، على شرف أهلك، استغلّ سذاجتها وشعورها بالوحدة، وعدها بالزواج، وبعد أن نال غرضَه منها تركها فريسة للفضيحة، ولم يكتفِ بذلك، بل احتال عليها واستولى على الأرض.

شعرتُ بالدماء تتدفّق لرأسي، والغضب يزلزل كياني، هذا الحقير يعتدِي على شرفنا! ابنة عمي تلك الفتاة البريئة، وبدون وعي مني ركلته في بطنه، صفعته عدة صفعات، وسألت عمي كيف حدث ذلك ومتى؟! أجابني وقد نكس رأسه في الأرض، وقد سيطر شعور الحزن على نبرات صوته:

– كان ذلك بعد وفاتنا أنا وابن عمك في حادث السيارة.

نظرت لابن عمي الذي كان منهمكًا في خلع أظافر المدعو بسطويسي أستوثق من الأمر، نظر لي وأومأ برأسه علامة التصديق على كلام والده، شعرتُ بغصّة في حلقي وأنا أنقل النظر بين عمي وابنه، للمرة الأولى أنتبه أنهما يرتديان أكفان بيضاء ولا يظهر منهما سوى وجوههما وأيديهما، تذكرت تلك الحادثة المروّعة التي انقلبَت فيها سيارة ابن

عمي وتُوفِّي هو ووالده، شعرتُ بالرعب؛ حيث إنني حاليًا أقف وأتحدث مع أقاربي المتوفِّين منذ شهور قليلة، حاولتُ ألا أظهر حالة الفزع التي انتابتني خشية غضبهم، تظاهرتُ بالغضب الشديد من بسطويسي، وركلتُه في جنبه الأيسر قبل أن أقول بصوت حاولت أن يبدو طبيعيًا:

- إنه وغد حقير، والله لا يكفي هذا العقاب على جريمته، إنه يستحق القتل.

نظر ابن عمي لأبيه وقد تملكته الحيرة من أمري، وابتسم لي قائلًا:

- لقد قتلناه بالفعل.

اندهشتُ من الأمر، سألته:

- قتلتموه؟!

نظر لي عمي بتعجب وهو يقول:

- نعم.. منذ ثلاثة أشهر، ألا تتذكر؟

تذكرتُ بالفعل حادثة قتل بسطويسي، حين استيقظ أهل القرية على حريق شبّ في داره ولم ينجو منه أحد.. كانت حادثة مروّعة قُيِّدَت في النهاية قضاء وقدر.

ابتلعتُ ريقي وحاولت السيطرة على رجفةٍ أصابت نصف وجهي الأيسر، نظرتُ للرجل المكبل على الكرسي، ونظرت لهم.. إنهم مجموعة من الأموات يصفُّون الحسابات فيما بينهم، قلت وأنا أستجمع شجاعتي:

- إنه يستحق العقاب وأكثر، ولو لم يكن لدي ميعاد كنت قطعته إربًا.

رفعت يدي ملوحًا لهم، وتسلّلتُ للخارج محاولًا الهرب، لولا أن لحقني ابن عمي يستمهلني، قائلًا بصوته الأجش وهو يضحك:

- انتظر قليلًا.. هل ستخرج على الناس بهذا الشكل.

نظرتُ لنفسي وتعجبت، كان جسدي عاريًا تمامًا بعد أن سرق أحد لصوص المقابر الكفن الذي كان يستر جثماني أول أمس.

(15)

الابتسامة المرعبة

لم يكد طفلي الصغير المدلّل يكمل عامه الثالث حتى بدأتُ ألحَظ عليه بعض التصرفات الغريبة، كان يترك الألعاب المبعثرة في غرفة الجلوس ويزحف على ركبتيه ليجلس تحت طاولة الطعام، كان يصيبني الرعب حين يبدو لي أن أحدهم يداعبه فيضحك، ويجلس فترات طويلة تحت الطاولة؛ فإذا ما حاولتُ إخراجه لإطعامه أو لوقت النوم كان يرمقني بنظرة تخيفني، ليسَت نظرة طفل في الثالثة، نظرة غريبة تحمل بعض الكراهية، ولا أدري هل كنت أتوهم ذلك أم كانت حقيقة!

في يوم عيد ميلاده السادس كان يبكي تحت الطاولة، سألتُه بجزع عما يبكيه، أجابني بأن صديقه رحَل وتركه وحيدًا، تعجّبتُ يومها؛ فلم يكن لابني أية صداقات، ولمّا سألته رمقني بتلك النظرة المخيفة وهو يقول بصوت بدا لي غريبًا:

- صديقي إلياس الذي كان يلاعبني دومًا.

شعرتُ بقشعريرة تسري في جسدي؛ فقد كان إلياس هو اسم ابني الذي تُوفّي في حريق قبل خمس سنوات من ولادة ابني الأصغر، خوف مبهم لم أعرف له تفسيرًا سيطر على قلبي، انسحبتُ وتركتُه دون أن أنطق بكلمة وقد سيطر عليّ شعور غريب نحوه، شعورٌ بأن الطفل الذي يحتضنني الآن ويضغط بشدة على يدي هو شخص غريب عني.

مرّت الأيام وأحوال ابني تتبدّل بشكل مرعب، أستيقظُ في منتصف الليل لأجده يقف على باب حجرتي ويبتسم ابتسامة غريبة قاسية، أقوم لصلاة الفجر فأجده قد أوصَدَ على نفسه باب الحمام لفترات طويلة، يسمع موسيقى صاخبة، يقلقُ من أن يدخل أحد غرفته، حتى

كان يومًا تشاجَرَ فيه مع والده؛ فوجدتُه يتمتم بكلمات مبهمة بصوت أجش، ولما تطور الأمر بينهما أشاح بيده في وجه والده فأطاح به من مكانه ليرتطم رأسه بجدار الغرفة وينزف، وتلك الواقعة كانت بداية تحول في حالته.

تظاهر بالندم الشديد لمَا حدث، وطلبَ مني أن أساعده وألّا أتخلّى عنه، فسّر لي الأمر بأن جسده يسكنه شبح اسمه إلياس، ولا يستطيع التخلص منه، يرتاح لسُكنَى جسده ولا يفكر في الرحيل أبدًا، فكرتُ ربما إذا استعان بالقرآن والرُّقية وبعض البخور يمكنه طرده من جسده، أو الذهاب الى أحد المتخصصين في إخراج الجان من الجسد، ولكن زوجي رفض بحجة أن ذلك جهل شديد وأقرب إلى الكفر، ورفض ابني؛ لأن هؤلاء المشعوذين يستخدمون وسائل مؤلمة وطرق بشعة لخروج الجان.

كنت أفتقد ابني، ذلك الشخص الذي يحاول التقرب لي ولزوجي هو أبعد ما يكون عن شخصية ابننا، إنه شخص مختلف، نظراته وصوته، حتى طريقته في السير، التفاتَتُه لنا بين الحين والآخر، ابتسامته المرعبة، صارحْتُ زوجي بمشاعري لم يلتَفِت للأمر، بل أصرّ على اصطحاب ابننا لأحد الأطباء المتخصصين في الأمراض النفسية، والذي ما أن أنهى الكشف حتى أخبرنا أن ابننا يعاني من حالة نفسية ومرض يستوجب العلاج، وأن العلاج يتمّ في مصحة خاصة، بعدة جلسات وعلاج دوائي.

رغم انتظام ابني في العلاج إلا أن تغيرًا لم يطرأ على حالته، والمخيف في الأمر أن المصحة شَبّ فيها حريق أكثر من مرة، وشهِدَت أكثر من حالة انتحار، حالات هروب غامضة لمرضَى حالتهم مستقرة، بعد عدة شهور أتم ابننا فترة العلاج وأخبرنا الطبيب أن العلاج أتى ثماره، وأنه لن يذكر تلك الخرافات عن الجان وإلياس مرة أخرى.

خرجنا من المصحة واستقلَلْنا سيارتنا نحو منزلنا ونحن نحمد الله على سلامة ابننا، وما أن وصلنا للمنزل حتى دقّ جرس الهاتف المحمول، كان رقم الطبيب، أجاب زوجي الهاتف ليخبره أحدهم أن الطبيب انتحر شنقًا وبطريقة مريبة أثارت الشكوك بأن في الأمر لغزًا غامضًا؛ فقد كان الطبيب قصير القامة ومع ذلك استطاع تثبيت الحبل في سقف الغرفة بمهارة كبيرة! ولولا أن الباب كان مغلقًا من الداخل بالمفتاح ربما كانت تدور الشكوك حول جريمة قتل.

وضع زوجي الهاتف والتقَت عيناه بعيني ابني الذي تبدّلَت نظرته لتلك النظرة المخيفة، ابتسم ابتسامته المرعبة، تركَنا ليدخل حجرته ويغلق الباب خلفه.

(16)محاكمة لينا

- أين البداية؟
- لم تكن هناك بداية قط.
- لِمَ أتيتِ هنا؟
- بل قل: لِمَ أتَوا بكِ إلى هنا؟
- حسن.. يبدو أنكِ مراوغة، وسأبذل معكِ جهدًا لا بأس به.
- هذا ما تتقاضَى أجركَ عليه.
- فصيحة أيضًا! غريب! حسنًا.. لنباشر بالكلام المفيد، لِمَ أتَوا بكِ إلى هنا؟
- لأنهم خائفون.
- وممَّ يخافون؟!.. أَمنّكِ؟!
- لا.. ممّا أنا قادرة على فعله.

عم السكون فترة ليست بقليلة، ثم أكمل تقييمه للحالة...

- وما الذي تقدرين على فعله؟
- إخافتهم.
- أووه... يبدو أننا سنقضِي وقتًا طويلًا برفقة بعضنا البعض.
- تعجبني... لستَ كالسابقين، لن أفعل بك المثل.
- ماذا؟!

قالها بخوف ممزوج بالدهشة، ثم أكمل:

- لماذا تفعلين كل هذا؟ لِمَ لا تعيشِين كأي مراهقة في مثل سنك؟!

- هل لي بسؤالك؟

- بالطبع... لكِ ما تريدين.

- ماذا يغذّيك؟

- معذرةً.. لم أفهم ما ترمِين إليه!

- ماذا يعيد لكَ روحك كلما خسرتها؟ ماذا يدفعك للاستيقاظ من نومك؟ ماذا يحركك؟

- أووه.. فهمت إذن، المساعدة تغذّيني، أشعر ببناء روحي كلما أنقذتُ شخصًا بحاجة للإنقاذ، وأنا أشعر أنكِ بحاجة للإنقاذ... فقط ساعديني، إذا كُتب في تقييمك أنكِ بحاجة للعلاج النفسي سأساعدك.

- حسنا... لم نُخلق بنفس البناء الروحي إذن.

- لا أفهم!

- ولن تفهم قط.

- ساعديني إذن.

- لست أنا من يساعد.

- كفى أرجوكِ.. ماذا تقصدين؟!

- يغذيني الكُره... هذا الفارق بيننا، لا يمكنكَ أن تساعدني.. ولا يمكن لأحد فعل ذلك!

قالتها وقد ظهر اليأس عليها؛ فعلم أنه التقط نقطة ضعف يستطيع أن يجذبها بها.

– ماذا فعلت؟ وجعلكِ مستاءة إلى هذا الحد؟

– عندما كنتُ خارجة في مهمة قتل "صلعمية" سمعتُها تتضرع إلى الله باكية أن يحميها مني ولم يحمِها، وعندما فقدَت إيمانها ابتسمَت ساخرة من ضعف إيمانها، وعندما كفرَت به وأدركَت عدم وجوده أخذتُ روحها حزينةً على ما سيصيبها في الآخرة.

– وهذا ما جعلكِ مستاءة؟

– بالطبع لا... نظرت لعينيها عند قتلها وأدركت أنه ليس من حقي أن أشفق عليها؛ لأنني أفعل ما أؤمر به... فقط ما أُؤمر به، ولا مجال للتراجع صدقني.

أتذكر تلك الليلة.. لم أستطع ردع تلك الفكرة حينها، كان هناك شيء ما يحرّكني ولا أعرف ماهيته؛ لذلك أطلقتُ العنان للتفكير والتصرف، رأيتني متوجهة نحو هذه الغرفة المخيفة التي حبستُ فيها أبي وأمي بعد أن حاولا مهاجمتي، لم أعرف حينها الخطوة التالية.. هاهاها.. ألم أقل لك: هناك شيء ما يحركني؟ سمعتهم يتوسّلون ولكنهم لا يدركون..

(لست أنا).. لم يفهموا.. ولن يفهموا قط..

حينها ظهرَت علامات الغضب على الطبيب من برودة أعصابها، ومن وصفها للقتل بهذه السهولة.

– آه يا ملعونة... أتمنّى أن تحترقي في الجحيم.. قتلتِ والديكِ! بهذا الدم البارد يا لعينة!

وقد أدرك أن مثل هؤلاء ليسوا بحاجة للعلاج، بل هم في حاجة للإعدام بأبشع الطرق.

وكتب تقريره:

"ليست مريضة، بل هي سفاحة"

ثم نهض مسرعًا للخارج أمام نظراتها الثابتة.

***

تم نقلُها للسجن استعدادًا للمحاكمة، وقد كانت أربعة أيام حافلة..

بعد فترة وجيزة في الغرفة مع الأخريات، قُدّمَ عددٌ من الشكاوي لا حصر لها، ولكن رفض الجميع ذكر السبب، وطلبوا أن يتمّ نقلها لزنزانة منفصلة.

وبالفعل تم نقلها، وكان ذلك لصالحها؛ حيث مارست شعائرها بحرية، ونُقل عن حارس الزنزانة قبل وفاته بساعات، أنه إذا ما انتصف الليل سمع بهذه الزنزانة موسيقى صاخبة لا يعلم أحد مصدرها!

في البداية رسمَت نجمة خماسية كبيرة الحجم؛ حيث أنها تستطيع الجلوس بداخلها، اتجاهها باتجاه عرش الملك لوسيفر العظيم (عكس اتجاه القبلة).

أشعلَت خمس شموع، ووضعتهم على رؤوس تلك النجمة الخماسية.

كتبت حروف إبليس داخل رؤوس النجمة، بالإضافة إلى كتابة الأسماء الأربعة الشيطانية المقدسة لدى الملك إبليس بين زواياها، متجنّبة الزاوية الأمامية...

أبراش.. هيلاش.. شماش.. هالوخ..

وبعد الانتهاء من هذا جلست داخلها لتبدأ العبادة..

– يا من تسير خلف الصفوف.. وحدكَ تعلم من أنا وتعلم بحالي.. لم أفعل سوى ما أمرتني به.. كل ما فعلتُ كان تنفيذًا لإرادتك؛ فارحم روحي في الجحيم.. لوسيفر العظيم.

وجلسَت لتكمل طقوسها بممارسة نوع من الشذوذ الجنسي.

***

بعد أن انتهت تذكّرَت ما قالته للطبيب: "ليس هناك بداية".

"بالفعل.. فقد حدث كل شيء وكأنني كنت مغيبة، أتذكر أختي التي دُفِنَت حية، هل كانت تستحق كل هذا؟ هل استحقَّت فعلًا بيعَ نفسي للشيطان حتى أعيدها؟ هل كانت تستحق أبي وأمي وأصدقائي وأسرهم و.. و.. و.. قربانًا لعودتها؟! لا أعلم.. ولكن ما حدث قد حدث.. ولا سبيل للتراجع"

***

باقي على محاكمتها من الوقت ثمانٌ وأربعين ساعة، ولا زالت تقوم بطقوسها كل ليلة بانتظام.

***

فوجئَتْ بزيارة شخص غريب المظهر أسود البشرة، يرتدي عمامة، وفي يده اليسرى صليب، صُعقت عند رؤية هذا الصليب، واحمرّ وجهها غضبًا.

فهم ما ترمي إليه نظراتها فبادر بالحديث:

- العظيم لا يترك رعاياه المخلصين!

عندها فهِمَت أنه سمع نداءها، ودعاءها الذي لم ينقطع لحظة، هدأت قليلًا.

أكمل حديثه:

- أنا (دنهش).. وكّلَنِي العظيم بأن أكون محاميًا لكِ.

(دنهش) هو أحد أبناء إبليس وأقواهم؛ حيث يجيد المراوغة والتلاعب.

لم يصدر منها ردٌّ أو قولٌ أو فعلٌ.. وهكذا انتهت الزيارة.

***

مرّ الوقت سريعًا وكأنها ثوانٍ معدودة، تم نقلها إلى قفص الاتهام بزيّها الأبيض، وقد أيقن الجميع أنها ستغادر القاعة مرتديَة الزيّ الأحمر.

***

"محكمة!"

جاء الصوت مرتفعًا قويًا اهتزت إثره أركان القاعة كلها.

وبدأ النائب العام في رثاء من تم قتلهم على يد تلك اللعينة، وقد عجز عن عدّهم جميعًا؛ قد ارتكبت من الشرور ما يكفي أن تُعذّب في

قاع الجحيم لأجلٍ غير مسمى، وأنهى حديثه بتوجيه التُّهَم إليها مطالبًا بأقصى عقوبة.

وهنا تدخّل الدفاع طالبًا تقييمها نفسيّا على يد طبيب نفسي، مؤكدًا أنها بحاجة للعلاج النفسي، وقدّمَ الأدلة التي تؤكد ذلك.

بعد ذلك تدخل الشاهد الأول، وقد كان الطبيب النفسي نفسه، موضحًا أنها في كامل قواها العقلية والنفسية، ولا تحتاج العلاج، بل هي في حاجة إلى الإعدام.

وكان ذلك قبل أن يُطرح أرضًا مع رعشة غريبة في جسده بأكمله؛ ليتم نقله فورًا خارج القاعة.

وهنا علت الأصوات في القاعة، وارتبك الدفاع بعد أن باءت حيلته الوحيدة بالفشل، وأيقن الخسارة.

نظر لها القاضي بغضب شديد، وحينها تأكّدَت من ثبوت التهم الموجهة.

"ماذا؟.. ستُعدم!" محدثة نفسها.

***

بعد فترة استراحة دامت خمس عشرة دقيقة..

"محكمة!"

اقشعَرّ بدن الحضور والدفاع، وقد تيقّن الجميع من ثبوت حكم الإعدام، بعد موافقة المفتي بالطبع.

جاء القاضي للنطق بالحكم بعد أن تم الاتفاق مع هيئة القضاة.

– حكمت المحكمة حضوريا على المتهمة (لينا) بالبراءة!.. رُفعت الجلسة.

- ماذا؟!

صُعق الجميع بعد التفوّه بهذه الكلمات.. وعلَت الأصوات معبرة عن رفضها لهذا الحكم!

نظرت (لينا) إلى القاضي نظرة ذات معنى، وقد فهمَت ما يدور تحديدًا.

وقبل أن يصدر أي فعل ممن كانوا في القاعة، قفز القاضي إلى القفص، وأخذها ثم اختفيا تمامًا من القاعة..

قبل أن تحدث عاصفة رملية قوية!

لم يعلم أي من الموجودين مصدرها أو سببها.

قيل فيما بعد أن تلك القاعة نفسها قد اختفَت تمامًا بمن فيها بعد هذه المحاكمة، ولم يتم ثبوت وجودها من قبل، وكأنها لم تكن يومًا!

قيل أيضًا.. أنه تم العثور على الطبيب النفسي الذي قَيّمَ حالتها مقتولًا في شقته، ولم يتم العثور على أي دليل يثبت مقتله على أيدٍ بشرية، سوى ورقة دُوِن عليها:

"لستَ كالسابقين.. ولم أفعل بك المثل"

(17)(بالفطرة)

إنها المرة الأولى في حياتي التي أرفض فيها أوامر والدتي.

بالرغم من انصياعي التام لها، إلا إني رددتُ عليها رافضة، وتضرّعت لها مستعدة للموت، على أن أحرِم أحدهم حياته، وأُهْلِكُ من أحببتهم وعشت بينهم سنوات طويلة أراقب أطفالهم وهم يكبرون بقربي، حتى مرحلة نضجهم.

إنهم شباب قرية النهر.

لطالما سعدتُ وأنا أراهم يلعبون ببراءة متناهية، لا يعلمون من تكون تلك التي تبتسم لهم برضى واهتمام، وبسذاجة مطلقة كانوا يمنحوننا أنا وأمي المتوحّشة ثقتهم التامة، لم يعرفوا حقيقة الفتاة التي تظهر بينهم وتختفي، وتراقب في صمت يومياتهم، وهي تخفي شخصيتها المخيفة؛ كونها بذرة شر وُلِدَت تحت ظل أعتَى النداهات وأشدّهنّ ضراوة، تتجول بينهم صباحا متخفية في زي فلاحة مليحة الوجه، تلبّي حاجيات الفلاحات وتحضرها لهنّ، وفي ظلمات الليل تفترس أزواجهن وتيتّم أبنائهن، والأدهى من ذلك؛ تبكي وتنوح معهن، وتتمنّى لهن الصبر والسلوان، لم تُبقِي بينهم رجلًا أو شابًا، حتى جاء الوقت الذي كبُرَ فيه الصغار وتغيّرت فيها أجسادهم الطريّة لتزداد صلابة وقوة.

ولأنها قرّرَت أن تختبرني وترى قدراتي كندّاهة ستخلفها قريبًا، فموعد رحيلها قد حُدد، ها هي الآن تحاول إقناعي قائلة:

- لا تنسِي أنه مكتوب علينا يا صغيرتي الساذجة، والحياة تنصف الأقوى وتسحَقُ الأضعف فيها، ومن يستمع لهَوَاه يسير طواعية نحو حتفه.

لم أقتنع بكلامها، وجاوبتها بحنق:

- من نكون حتى ننهي حياتهم عشوائيًا؟ أين الإنصاف في أن تبطشِي برجل ضعيف نتيجة انصياعه لكِ رغمًا عنه؟

ابتسمت في هدوء وردت:

- لا تنسي أنكِ ندّاهة ولستِ من البشر، رغم أني في بعض الأحيان أشكّ في ذلك، ربما هي لعنة أحد العرّافات التي الْتهَمَت أحد أبنائها سابقًا أصابتني لأنجبكِ شوكة في حلقي لا أقدر على إنهائها ولا إقناعها؛ لأصدم بحبك المُخزِي لهم.

ورمقتني باشمئزاز ظاهر، واختفَت في البحيرة، وتركتنِي أقف متهالكة لا أعرف بالضبط وجهتي، وأنا أحسّ كلماتها النارية تعتصر مخّي، ونسمات الليل الباردة تهز خصلات شعري الطويلة المتساقطة على جسدي، الذي لم أغيّره ولو لمرة طوال تواجدي بالقرية، وفكرة واحدة عالقة برأسي، والتي تتمثّل في إيماني بمبدأي الأزلي في أنني مستحيل أن أضرّ مخلوقًا بشريًا أبدًا، داعية الله أن لا يسمع صوتي أحد من الذكور، وحتى إن حدَثَ ذلك فلن أفترسه.

ومشيتُ وأنا أجرّ أذيال الخيبة والخوف يسري في عروقي، عندما تذكرتُ كلمات أمي التي نبّهَتني أن موعد تحوّلي إلى نداهة كاملة سيكون الليلة؛ لأني بلغت سن الرشد القمري، وأن حلقي الملعون بات كاملًا لإطلاق أول تنهّداته لصوت النداء الموعود.

وزمَمْتُ بحركة آلية شفّتي، وطردتُ الهواجس من مخيلتي، ثم خمّنتُ بيني وبين نفسي أنه لا يمكن نداء أحد من الشباب الطيبين في مثل هذه الساعة المتأخرة، لا بد أن معظمهم يغطّ في النوم العميق،

ولأني أعرفهم فردًا فردًا جزمتُ بذلك، وحاولت ألا أتذكر أي اسم منهم؛ حتى لا تتوارد أفكارنا ويحصل المحظور.

لكن هيهات.. لقد فات الوقت ولم أشعر إلا وتفكيري مُركّزٌ في (طه)، الشاب اليتيم الذي طالما كفَفتُ له دموعه وواسيته لنصبح مُقرّبين جدًا بعد ذلك، وهديّته التي صنعها لي تشهد على تودّده، لا.. مستحيل.. لقد ركزتُ أكثر أني أحسّه ينصاع وعقله يغيب، لماذا لم ينَمْ ذلك الساذج؟ ما هذا الصوت الذي يصدر مني؟ ارحمني.. لا تستمع إليه يا (طه)؟ أرجوك.

ولكن لم تمضِ هنيهات معدودة حتى رأيته يتقدّم نحوي، يجرّ رجليه ويخطو آخر خطواته نحو قدره المحتوم، وعيناه شاخصتان، ولم أقدِر على التوقف ولا هو غيّر اتجاهه.

ذلك الشاب البريء، بسمرته المحببة، وسواعده القوية، ونظرة الطفل المعهودة منه، يقف أمامي مخدّرًا، أغمضت عيني وأنا أحسّ فجأة بجلدي يتمزّق، وقلبي معه في نفس الوقت؛ لتبرز لي أنياب تخرج من فمي، الذي فُتِح لآخره دون إرادتي.

قاومتُ التحوّل بشراسة وأنا أصرخ.. لأرضخ في الأخير وأنا أقول بحسرة:

- آسفة!

وفي أوجّ تحولي أيقنت أن الذي أطلق الوحش بداخلي لا يستطيع ردعه أبدًا، ولا أنكر أني في نفس الوقت شعرتُ بقوة رهيبة تشتعل وتنذر ببداية عهد جديد لوحش رهيب لا يضاهيه مخلوق، وحش تغذّى جيدًا من حب ضحاياه وانتصر على ضعفه ومشاعره لتنتصر الغريزة الطبيعية فيه، وتطلق معه جماح غريزة الافتراس.

آذان حمزة

بقلم: حسني الجهيني

لم تكن العلاقة بين (حمزة عبد السلام) وجاره (أسامة أيوب) جيّدة على الإطلاق، بالأصح لم تكن هناك أية علاقة بينهما بالرغم من أنهما يسكنان في بناية واحدة في شقتين متقابلتين، وقد كان (أسامة) خيرَ مثال على الجار الغامض الذي لا يتحدّث عن حياته ولا يعطي سره لأحد، لا يعرف أي ساكن في البناية أي شيء عن وظيفته.. بلده.. سبب كونه يعيش وحيدًا رغم هيئته التي تدل على أنه جاوز الأربعين من عمره، وهو ما شعر السكان بسببه بالضيق؛ لكونهم لم يستطيعوا إشباع فضولهم، وتمنّوا له أن يرحل من البناية قريبًا؛ ليأتي أي ساكن بدلًا منه يستطيعون معرفة وظيفته وبلده، وما سبب كونه يسكن وحيدًا إن كان يسكن بمفرده.

ثلاثة أشهر مرّت منذ انتقاله للسكن في البناية، ومن بعدها بدأ السكان في طرحِ التخمينات عن (أسامة) وماضيه المجهول.

قالت أم (سجدة) أثناء وقوفها في الشرفة تنشر غسيلها لجارتها (إيناس) الساكنة في الدور الرابع:

– أظن أنه هجر زوجته وأطفاله المساكين وهرب من مسئولية الإنفاق عليهم وانتقل للعيش هنا.. كل الرجال هكذا أوغاد.

بينما قال الأستاذ (سراج) بصوت هامس أثناء إلقاءِه زهر الطاولة للجالس في مقابلته بعد مرور (أسامة) من أمام المقهى في وقت متأخر من الليل:

– أقطع زراعي، وليتيتّم أولادي، إن لم يكن هذا الرجل هاربًا من ثأر، تلك النظرات الزائغة والتصرفات المريبة لا يمكن أن تصدر إلا من رجل هارب من ثأر.

أما (حمزة) فكان هو الوحيد الذي كان يسمع وينصت دون أن يتدخّل في الحديث، وعلى رغم أن كل الافتراضيات تلك قد طرحها عقله من قبل، إلا أنه كان يُوقِن أن هناك شيئًا أكثر سريّة وخطورة يخفيه (أسامة)، خصوصًا مع تلك الطرقات الخافتة والهمهمات الغريبة التي تصدر من شقة جاره بمجرد أن يحلّ منتصف الليل.

كان (حمزة) يوشك على إدخال مفتاح شقته في مكانه في الباب، عندما سرت إلى أذنيه تلك الهمهمات الغريبة التي يسمعها كل ليلة في مثل هذا التوقيت، إلا أن هذه المرة كان فضوله يقتله، هناك شيء غريب بخصوص (أسامة).. هذا مؤكد، والطريقة الوحيدة لمعرفته تكمن في الاقتراب من بابه والإنصات لمَا يدور بالداخل، فربما يتمكن من حل اللغز.. وتفسير السر الذي فشل كل من في البناية في معرفته، هكذا توجه إلى ناحية باب شقة الأخير ووضع أذنه عليه، ومن ثم بدأ في إرهاف السمع للأصوات الآتية من الداخل التي كانت متداخلة، خليطٌ بين عدة أشخاص يتحدثون، وبكاء امرأة، صراخ طفل صغير، وصوت دقّ شيء في إناء معدنيّ، ونباح كلب، وخطوات تقترب وتقترب ويعلو صوتها!..

انتبه (حمزة) إلى أن صوت الخطوات بدا أقرب من اللازم، وقفز إلى ذهنه شيء، إلا أنه قبل أن يتراجع إلى شقته كان (أسامة) قد فتح الباب، وهو يتطلّع إليه بنظرة صارمة دون أن يفتح فاهُ، والغريب أنه كان مبتسمًا على غير عادته، تلعثم (حمزة) مرتبكًا:

– أعتذر.. لقد سقط مفتاح شقتي هنا وكنت فقط ألتقِطُه حتى..

وتطلع إلى وجه (أسامة) الذي كان لا تزال تعلوه الابتسامة الغامضة، وابتلع ريقه عندما سأله الأخير:

- هل سمعتَ شيئًا؟

أجاب (حمزة) باضطراب:

- لقد أخبرتُكَ أنني كنت فقط ألتقط.....

كرر (أسامة) سؤاله بنفس الطريقة المخيفة:

- سؤالي واضح.. هل سمعتَ شيئًا؟

هز (حمزة) رأسه إيجابًا في ذعر؛ فأومأ (أسامة) رأسه في امتنان، واتسعَت ابتسامته أكثر وهو يقول بطريقة بدت مخيفة:

- ستسمع حتى تحسِدَ الأصم على صمَمِه، وستعوى بالليل واضعًا كفّيك على أذنيك.. حينها ستتمنى لو أنكَ لا تسمع إطلاقًا.

وتطلّع مرة أخرى إلى (حمزة) وقال بلهجة إشفاق:

- مسكين.

ثم أغلق بابه في عنف، تاركًا (حمزة) في الخارج في قمة الذهول والفزع.

***

تلك الليلة قضاها (حمزة) في سريره دون أن ينام، كان متعرقًا في بيجامته من شدة القلق، برغم الطقس المائل للبرودة، وما زاد من أرقه كذلك بخلاف التفكير كانت تلك الطرقات العالية القادمة من أعلى، التي بدَت أشبه بخطوات ديناصور ضخم يضرب الأرض بقدمه، صاح لنفسه:

- فلتصمت أستاذ (عطا الله) القاطن في الدور العاشر، صحيحٌ أنك ربما تكون ذاهبًا للحمام في ذلك الوقت، ولكن ليس هناك داعِي لإعلام جميع سكان البناية بصوت خطواتك أنه قد حان موعد تلبيتك لوظائف جهازك الإخراجي.

توقّف الصوت قليلًا، قبل أن يعود مرة أخرى بنفس الشدّة تقريبًا، امتعضَ (حمزة) مستاءً، قبل أن يزفر بضيق:

- اللعنة على كل سكان البناية.

ثم وضع الوسادة على رأسه، وحاول أن يخلُدَ للنوم، دون يدري كيف ومتى غرق فيه؟

***

ظهيرة اليوم التالي.. دَفَن (حمزة) رأسه بين ساعديه مستندًا بها على مكتبه داخل الشركة التي يعمل بها، وحاول أن يُرِيح ذهنه الذي تشوّش من ساعات النوم القليلة التي قضاها الليلة الماضية، صرخت به زميلته (شروق):

- كشف قيد الموظفين.. المدير يريده بسرعة.

تطلّع إليها بعينين منهكتين، فصاحت بصوت عالٍ:

- ماذا بكَ؟ هل أنت مريض؟

رمقها في دهشة، قبل أن يسأل في استغراب:

- ماذا بكِ أنتِ؟ ألا تستطيعِين التحدث بصوت منخفض؟!

عقدت حاجبيها، وردت:

- أنا أتحدّث بصوتٍ منخفض! يبدو أنكَ من شدة التعب أصبحتَ لا تحتمل أي صوت.

زفر في ضيق:

- يبدو أنني كذلك بالفعل.

عاودت صراخها:

- حسنًا.. يشفيك الله، فقط لا تنسَى كشوف الموظفين.

وغادرت بعدها، فتابعها (حمزة) بعينيه حتى انصرفت، وفي نفسه سأل:

- ما هذا الجنون الذي أحاط بكل مَن حولي منذ البارحة!

وكانت الإجابة واضحة، إلا أنها كانت بعيدة عن عقله في تلك اللحظة.

***

جلس (حمزة) بمطعم بجوار عمله لتناول الغداء شاردًا، يعبث بشوكته في طبقه دون أن يتناول من طعامه شيئًا، وبدا متعبًا كما لو أن أطنانًا من الحجارة تثقل كاهله، انتبه إلى ذلك الصوت الذي يشبه (كراااش) وتلفّت حوله، نظر إلى فتاة تقطِمُ شطيرة لحم، وتذمّرَ متعجبًا:

- ألا تستطيع تلك الفتاة أن تأكل بهدوء!

(كراااش.. كراااش) مرة ثانية قد سمعه..

وكان هذه المرة صادرًا من رجل يلتهم حِزمَةً من الجرجير كثَوْرِ تسمين، تطلّع له مذهولًا قبل أن يدير رأسه فيما حوله بذعر وهو

يسمع تلك الأصوات العنيفة التي ملأَت أذنيه، ضجيج من الأصوات المتداخلة العالية لمضغ الطعام، واصطدام الملاعق بالصحون التي كادَت تصيبه بالصمم، لم يملك وقتها إلا أن يصيح:

- فلتصمتوا قليلًا.

عندها تطلع إليه كلّ مَن بالمطعم في غير فهم.

***

غادر (حمزة) المطعم حانقًا دون أن يتناول غدَاءَه، واستقل ذلك التاكسي ليوصله إلى منزله، كان سائقه شابًا يقود وهو يمرّر عودًا خشبيًا بين أسنانه بينما يراقب الطريق المزدحم الذي كاد يتوقف بغيظ، قال (حمزة) في تعجل:

- أسرع من فضلك.. أنا متأخر.

وفي الحقيقة كان حمزة غير متأخر عن شيء، فقط هي طريقة متّفَق عليها لاستعجال أي شخص، لا سيّما أنها تُكسِب قائلها نوعًا من الأهمية وكأن وقته من ذهب.

رد الشاب وهو يتطلع نحو حمزة في مرآة القيادة.

- عفوًا يا أستاذ.. لقد نفذَ الوقود الأيوني من الحوّامة، ولن نستطيع التحليق بها.. نياهاهاها.

كاد حمزة يردّ عليه، لولا رنين هاتف السائق في ذلك الوقت؛ فردّ وكان مكبر الصوت قيد التشغيل:

- ألو.. معكِ يا هويدا.. أنا بخير في العمل، وفي نفس الظروف كالعادة.

يسمع (حمزة) الزوجة تسأل:

- لابد أنّ معكَ راكبًا سمجًا من إياهم ولا تستطيع التحدث!

يتطلع الشاب إلى حمزة بابتسامة صفراء، ويقول باقتضاب:

- هو كذلك بالفعل.

تتحدّث هويدا:

- لا مشكلة.. أنا اتصلتُ بكَ فقط لأخبرك ألا تتأخر؛ لأنني أرسلتُ الأطفال لأمي، وأرتدِي الآن قميص النوم الأسود الذي تحبه، وهناك أيضًا...

كان (حمزة) طوال ذلك الوقت ينصتُ إلى المكالمة بأكملها؛ ففار غضبه في هذه اللحظة، وهو يخاطب السائق بعصبية:

- أغلق مكبر الصوت يا هذا، تلك أسرار بيوت ولا يصحّ أن يسمعها أي شخص.

تطلّع السائق بتيهٍ إلى شاشة هاتفه، قبل أن يعود لمخاطبته بحدة:

- أي مكبر يا أستاذ؟! لم أشغل أي مكبرات.

وعاد يقول بلهجة اتهام:

- يبدو أنكَ أنتَ من كنتَ ترمي أذنيك لتستمع للمكالمة.

تطلع (حمزة) بتوتر إلى شاشة الهاتف التي ما زالت المكالمة عليها جارية، وكان مكبر الصوت غير مفعلٍّ، بينما كان يسمع صوت أنفاس زوجة الرجل في وضوح شديد، تساءل:

- ما الذي يحدث بالضبط؟!

في المسافة المتبقية على وصوله إلى المنزل.. كان (حمزة) يتلفَّت حوله بين الحين والآخر على أثر بوق سيارة أو صوت بائع أو على أغنية تشغّلها حافلة نقل ركاب، الأصوات كلها كانت عالية داخل أذنيه، وشعر أنه بالفعل يشتكي من شيء، تعالَى هاتفه باتصال من زميلته (شروق) التي تحاول الاطمئنان على صحّته، سمع صوت الرنين كما لو أنه خارج من سماعة (دي جي) في حفل صاخب، أغلق هاتفه بذعر، وما إن لمح البناية التي يسكن فيها تلُوح على الأفق؛ حتى قفز من السيارة مهرولًا بعد أن أنقد السائق أجرته، وكان كل مبتغاه أن يغلق عليه باب شقته بعيدًا عن كل تلك الضوضاء.

أمام باب الشقة.. لمح باب شقة المدعو (أسامة) ينفَتِح، ومن خلال فرجَةِ الباب أطل بوجهه يتطلّع إليه في سخرية، سقطَ المفتاح من يده، وتطلّع إليه مرتبكًا؛ فهز أسامة رأسه مبتسمًا وهو يغلق الباب بهدوء، سأل (حمزة) نفسه:

- ماذا يريد ذلك اللعين؟

وفتح بابه ودخل، وما إن رأى فراشه حتى رمَى عليه جسده المتعب، دون أن يدري متى وكيف استغرق في النوم؟

***

استيقظ هذه المرة على صوت عالٍ يشبه الصافرة، يصمتُ لثواني ثم يعود بنفس الشدّة والرتابة، اعتدَل في نومته مذعورًا، وحاول أن يحدّد مصدره، كان كل شيء يدل أن الصوت مصدره موجود بداخل الغرفة، فتح خزانة ملابسه وفتّش بين قمصانه وبناطيله دون فائدة، فتح دُرج الكومودو وتطلّع إلى هاتفه دون جدوى، دخل إلى المرحاض لإفراغ مثانته الممتلئة وما زال الصوت يدوّي من وراءه، عاد مرة أخرى وحاول العودة إلى النوم وتجاهُل الصوت؛ فلم يستطع، مالَ بجسده

نازظرًا إلى أسفل السرير، وهذه المرة عثر على مصدر ذلك الصوت، وكان غير متوقع..

كان مصدره كائنًا بنيَّ اللون ذا جسد لامعٍ من رتبة الـ(بلاتا أورينتاليس)!

كان مصدره هو صرصار مسكين بريء المظهر!

***

في الأيام التالية أصبح سمع (حمزة) رهيف أكثر، وبدأت الأصوات التي تصل إلى أذنه تزداد أكثر، شعر كما لو أنه يملك عدة آذان، وفوجئَ بسماعه بوضوح مكالمات هاتفيه لأشخاص يمرّون بجواره، أصواتَ دبيب حشرات الأرض، ونقاشات تدور بداخل الغرف المغلقة في بنايات الشارع، وعندما بدأ بسماع صوت وظائف أعضاء جسده الداخلية أثناء وجوده في العمل؛ لم يملك إلا أن يضع يديه على أذنيه ويبدأ في الصراخ بألم.

***

استنتج (حمزة) شيئًا؛ تلك اللعنة لابد أن مصدرها (أسامة) اللعين، هو قال نبوءته التي لم يستوعبها إلّا الآن، لم يكترِث بإبلاغ مديره وغادر من العمل بدون استئذان، وما إن وصل إلى باب شقة (أسامة) حتى بدأ في طَرْق بابها في عنف شديد، فتح الأخير الباب وتطلع إليه ببرود متسائلًا، فهتف (حمزة) وهو لا يزال يمسك رأسه التي تكاد تنفجر:

– أيُّ شيء لعين فعلته بي؟!

حدجه (أسامة) بنظرة مستفزة، مستفسرًا:

- أي شيء؟!

صاح (حمزة) ببغض وهو يحكم قبضته على عنق (أسامة):

- أنت تعرف كل شيء، تلك اللعنة التي ألقَيتُها عليّ.. أي شيطان أنت بالضبط؟ وما هو ماضيك؟ أريد أن أعرف كل شيء.. وقبل كل هذا يجب أن تخلصني من تلك الكارثة التي ألمّت بي.

تمتم (أسامة) بكلمة غير واضحة النطق؛ فتراخَت يدَا (حمزة) المحيطة بعنقه، وتسمّرَت إلى جانب جسده، بينما بدأ (أسامة) يتكلم:

- ألا تعرف أن استراق السمع فعلٌ غير مؤدب.. اعتبر هذا درسًا لك.

قال (حمزة) وقد بدأ يسمع صوت عملية إفراز الإنزيمات الهاضمة إلى الاثنَى عشر الصادرة من بنكرياسه:

- حسنًا.. لقد تعلمتُ الدرس بحق، الآن خلصني من معاناتي.

تطلع (أسامة) إليه بابتسامة سمجة قائلًا:

- للأسف لا أستطيع عكس التعويذة.

اندفعت الدماء في وجه (حمزة) وهو يقول:

- إذن سأقتلك، أو سأبلغ الشرطة، أو في أبسط الأحوال الجيران.

انفجر (أسامة) في الضحك، وهو يقول:

- الجيران! الشرطة! أنا لا اخاف من أحد، وعمومًا حتى لو أخبرتهم فلن يصدّقوك، هم من الأساس لن يتذكروا أي شيء عن وجودي في تلك البناية التي يسكنون فيها، فقد انتهت مهمتي هنا

وسأغادر.. أنت فقط وحدك من سيظل يتذكر.. أنت وحدك ستظل تتألم لباقي عمرك.

وقبل أن ينطق (حمزة) بكلمة كان (أسامة) قد ربَت على كتفه، وبعدها تبخر في الهواء في لمح البصر، اندفع (حمزة) إلى داخل الشقة وجال فيها بحثًا عن شيء يستدلّ به على مكانه؛ فلم يجد، كان كل شيء في الشقة مرتبًا كما لو أنها لم تُسكن إطلاقًا.

وهنا بدأت تلك الأصوات مرة أخرى في الاندفاع بقوة نحو أذنيه، مئات المئات من الأصوات تتسابق وراء بعضها البعض، ثرثرة نسوة.. قلقلةُ مفاتيح.. صرير باب.. خفقان قلب.. قهقهات ضحك.. دبيب أقدام.. انفجارات كويكبات.. وصهيل حصان.. وسهيف دب.

رقد (حمزة) على ركبتَيه وهو يمسك برأسه التي توشك أن تنفجر، وراح يضرب بها الأرض محاولًا إسكات تلك الأصوات التي تدخل إليها بلا هوادة، أغرق الدم جبهته في حين كان لا يزال يواصل صَدْمَ رأسه بالأرضية الصلبة، واستمر هكذا لبعض الوقت، قبل أن تخطر بذهنه فكرة تُبِيد معاناته؛ لينتهي به الأمر راقدًا على طاولة العمليات والطبيب يسأله قبل أن يحقنه بالمخدر لمرة أخيرة:

- هل أنت واثق أنك تريد ذلك أستاذ حمزة؟

تطلع إليه (حمزة) وعلى وجهه كل علامات الألم، وقال وهو يكزّ على أسنانه مجاهدًا التحمل:

- نعم.. أنا واثق.. أريد أن أصبح أصمًّا.

هز الطبيب رأسه بأسف، وبينما كان يغيب عن الوعي، كانت الأصوات في عقله تتضاءل، وكان آخر ما سمعه على الإطلاق ضحكات غريبة مجهولة المصدر.

الغريب

بقلم: هبة حمدي

الساعة تقارب الثانية بعد منتصف الليل، جلست نعمة مترددة حائرة .. طارة تنظر تجاه الباب وطارة أخرى تنصت لأصوات المارة بالشارع، يكسو وجهها ملامح الخوف وعدم الأرتياح، فقد مر على مغادرة وحيدها ووالده ساعة كاملة من دون أن يتصل بها أحدا منهم ويطمئنها، ضجيج الأفكار المتناثرة بداخلها لم يجعل كلمات الأطمئنان التي حدثوها بها قبل الرحيل أن يهدأ من ثورة الخوف.

فلم تكن الليلة كالبارحة منذ أن جاء عبدالرحيم عم زوجها بدران وطرح عليه تلك الفكرة الحمقاء ليقنعه بخوض الخطوة الذي لم يجرأ عليها أحدا من قبل، إنه ذلك الكنز الدفين داخل سرداب منزل الجد الأكبر الشيخ مسرور قبل ستة وسبعون عاما مضت، ذلك الآرث الذي لا يعلم عنه سواه.. بعد أن جاء إلى منزله العتيق بقريته التابعة لمركز مغاغه، ذات ليلة لم تغادر أحداثها كيان الجد الراحل منذ عشرون عاما، فقد كان كلما آتت فرصة يقص على الجميع مافعله الغريب.. الذي زاره تلك الليلة.

كان يتكئ على عصاه المعدنية، لم يكن يبدو عليه عمره الذي كان لا يقل عن سبعون عاما، بسبب نحافته وقصر قامته الذي لم يظهر عليه تلك السنوات، جاء مستنجداً يحتمي من تلك الأمطار المتناثرة في كافة أرجاء القرية، وملابسة الرثه لم تكن لتحميه طويلاً أو تدفئه .. أحسن ضيافته الشيخ مسرور، وقبل بزوغ الشمس بما يقارب ساعة، جلسا كلاهما على أريكة صغيرة تتوسط الغرفة الرئيسية للمنزل.

أشار إليه الغريب بسبابته وهو يقول مرتجفاً بعض الشئ:

- لم أكن أتوقع أن تحسن إلِي رغم ماسمعته عنك من بعض أهل القرية.. جميعهم قالو بأنك قصير اليد، لا بها إي حيلة فلن تكرم ضيفك وهذا نتاج ماشهدوا منك تجاهم طيلة سنوات عمرك الثلاثون.

قاطعة مستنكراً..

- ورغم ذلك جئتني في النهاية .. رغم تلك الكلمات التي تتردد من حولي.

أعتدل الغريب في جلسته قائلاً:

- أردت أن أعطى لك فرصة.. قبل أن أحكم عليك مثلما فعلت مع باقي أهل القرية.

قاطعة مرة أخرى وهو يقول:

- وما الهدف مما تفعله معي أو مع غيري، فأنت غريب.. زائر لم يرك أحداً منا من قبل، والآن تأتي إلينا للحكم من دون أن نعلم عنك شئ.

نهض عن مجلسه وهو يسير بعيدا بعض الخطوات قبل أن يلتفت إليه وقد تعالت نبرة كلماته بعض الشئ مكملاً حديثه إليه..

- من أنت وماذا تريد مني، لا تجعلنى أن أندم على مافعلته معك.

أشار إليه الغريب بيده طالباً منه التحكم في كلماته قبل أن يقول:

- اجيبنى أنت لما يقول عنك أهل القرية هذا عنك أولاً ثم سأخبرك ماذا أريد.

اجابة مسرور:

- لأن بعضهم يريد أستغلال عملي لصالحه.. فأنا مُغسل وأدفن الموتى، وقبل خمسة سنوات جاءني دجالاً أرد مني نبش القبور وأستخراج بعضاً من أحشاءهم وعيونهم لتحضير أعمالا سفلى ملعونة، وهذا ما أكتشفته عندما أخبرني بأنه يريد زيارة قبر قريبه الذي لم يمر عليه أياما قليلة بين أحضان التراب، وكنت أعرف صاحب الجثمان جيدا فأدركت خدعته لي وأكتشف أمره، ومنذ ذلك اليوم أبتعدت عن أهل القرية لأن أحدهم من باعنى وأخبره عن تلك المعلومات ليشركني عملهم اللعين.

مرت عدة ثوان قبل يحاوره الغريب من جديد وهو يقول بصوتً هادئ:

- هذا أفضل ما فعلت...و

قاطعة مسرور وهو يقول:

- بألحاح يجب أن تجيبني من أنت ولا تتملص من الأجابة وإلا أخرجت في الحال.

أجابه:

- أنا رجلاً رحال، أملك سلطانا لن تدرك حكمه ومالاً لن تستوعب مخيلتك مقدارة، وهبت عمري منذ بضع سنوات للترحال، البحث عن معادن الأشخاص النفيثة النادرة، لأعطيهم مايستحقون.

بدت ملامح الدهشة على وجه مسرور.. وهو يستمع لكلمات الغريب..

- لا تتعجب ف المحظوظ هو من يجذبني إليه وأدخل داره، فستنفتح أمامه أبواب السعادة والغنى.. ولكن.....

قاطعة مسرور متلهفاً..

- ولكن ماذا؟

أكمل الغريب حديثه:

- أريدك أن تتولى أمور توزيع الثروة على من تبقى من أهل القرية والقرى المجاورة، الذين أكرموني ولم يفزعوا من هذا المسخ الكهل الجالس أمامك.. فليس أمامي الكثير من الأيام المتبقية لي بهذه الحياة، أدرك ذلك جيدا.

مسرور :

- لا تقلق.. فأختيارك صائب تماماً

أجابه الغريب بنبرة يشوبها المكراً:

- لا أقلق.. أبداً فالمال بأمان طالما بداخل هذا الصندوق ..

مسرور:

- أين هذا الصندوق؟

الغريب:

- لا تتعجل فهو بالخارج بجوار المنزل، ولكن أحترس أن تبدد الأمانات، أسماءهم والقيمة المالية الخاصة بكل شخصا منهم، هنا فوق تلك المنضدة.

ألتفت مسرور ليجد تلك الورقة الرثه وقد لمعت عينيه وذاد بريقهما.. شعر به الغريب ولاحقه بكلماته التحذير والوعيد إذا خالف ذلك الأتفاق وهو يقول:

- أحذر فربما ينقلب كل شئ إلى الأبدين يا مسرور.. ولا تنسى لن تنال شئ من هذا المال إلا بد أن ينال كلا منهما حقه.. لا تبدد تتكاسل أو تمل، فالصبر فمفتاحك يا مسرور.

ترجل الغريب من جلسته ليتجه نحو الباب وهو يشير إلى موضع الصندوق الذي كان ارتفاعه يقارب المترين وعرضه ثلاثه.. تعجب مسرور فكيف لهذا الكهل أن يحمل ذلك الصندوق ويطول البلاد.. قبل أن يمطر الغريب بسؤاله فاجأة الغريب بالأختفاء.

ظل يردد على أسمه ويبحث هنا وهناك ولكنك سار سراب كأنه كان داخل حلماً قصير، ولكن كيف وهو بجوار ذلك الصندوق يلمسه بيده ويتحسس السبائك والنقود.

مرت بضعة أسابيع وهو لايزال يبحث عن الغريب، ولكن من دون جدوى، حتى قرر ذات ليلة بأن يبدأ بالبحث وتوزيع المال ليحوز بنصيبه كالباقين.. طالت ليال البحث وتمكن من توصيل الثروة، فكل شئ كان على مايرام، حتى علم بما يحدث زوجته الثانية.

كانت وردة غانية، قبل أن يتزوجها بعد أن رأها خلال مراسم دفن أحد الموتى فكانت زوجته وكانت جميلة وكانت تثير كل الحاضرين رغم لباسها الأسود وملامحة الحزينة على مفقودها.. فبادلا النظرات والهمسات من دون أن يشعر بهما أحد.. كانت الحبيبة والعشيقة والصديقة التي يلجئ إليها في كل الأزمات التي تواجه.

أشارت عليه أقتراحا حينما قص عليها ما حدث مع الغريب، كانت متحمسة وهى تطمئن قلبه الملول، فلقد مل البحث عن هؤلاء الأشخاص، قائلة:

- لن يجدك ذلك المجزوب.. لقد تركك وترك ثروته الطائلة من دون الألتفاف إليك ولا حتى السؤال، هؤلاء لن يشعروا بشئ إذ لم يصل إليهم هذا المال، لقت تحاملت كثيرا ويكفي هذا القدر الذي هدر حتى الآن.. فلنستمتع قليلا هذا هو وقتنا نحن الشباب، مؤكدا إنه توفي وتبخرت سيرته عبر الهواء.

كان يستمع إليها من دون أن ينطق ببنت شفه، حائرا بين تحذير الغريب وبين أقتناعه بحديث زوجته الحمقاء، ذلك الطمع الذي تغلل قلبها هو من جعلها تشجعه على فعلته.. حاول أن يتوارى كثيرا عن ماقلته وأن يتملص من هذا العهد.. وقد كان مر عدة ليال قبل أن يخبرها بأنه قررأن يكون الصندوق وماتبقى فيه ملكا له دون أن يعلم به أحد.

تلك الليلة.. وخلال نومه رآه الغريب مرة آخرى ولكنه شاب في ريعان شبابه لا يتجاوز الخمسة والثلاثون، طويل القامة عريض المنكبين يرتدى جلبابا حريري، يعلو رأسه تاجٌ براقٌ تكسو الماسات.. ينظر إليه بعينين متلهبة تملؤها لهيب الحقد تجاهه لم يتفوه إلا بكلمه واحدة، كانت كافيه بأن تحرك براكين كيانه ولم تطفئ أبدا، حينما قال بصوتاً أجش وهو يشير إليه قائلا:

- لن تنجو أبداا.

فزع من حلمه التعس، ليخطوة بخوات متسرعة نحو الصندوق الذي وجده، بمكانه ولكن قد أبتلعته الأرض وتبدلت بزجاج تحيطة ثلاثة أفاعي، ليكون صوب عينيه طيلة الوقت ولكن من دون جدوى، لن يتمكن من لمسه.. لن ينعم بالكنز.. لن ينعم بالراحة.. كانت المرة الأخيرة التي رأى فيها الغريب، فما حدث منه لم يكن هذا فقط.. لقد حرقت وردة بعد ثلاث ليال من دون سبب يذكر، كانت تلك اللعنة.. لعنة الثلاث.

فكلما مرت ثلاثة أيام، ثلاثة أسابيع، ثلاثة أشهر كانت تتوالى الكوارث.. لقد خسر كل شئ عدا منزله لما يحوي، حاول أن ينقب بمفرده ومع آخرون طمعا في الكنز ولكن جميعهم ماتوا ميتة شنعاء.. فأحدهم قطع عنقه وهو ينقب خلال الليل بمفرده، والآخر سقط من

سقال بناء بعد أن أنزلقت قدماه، وغيره كانت في قاربه يصطاد بهدوء متأملا الهدوء الذي يحيطه، قبل أن يجد قاربه ثقب ليبتلع عمره بين لحظه وثانية.

توقف بعد أن أبتلعه الخوف.. فقد أكتفى بقص ماحدث لأحفاده وأبناءه من زوجته الأولى وهو يوصي بأن يحاولوا أصلاح ما أفسده بعد أن أسلم لما قالته وردة اللعينة.

عادت فايزة إلى رشدها حينما تسارعت أجراس الباب.. لتخرجها من تلك الذكريات وهذه الأحداث المبهمة التي تتلاعب بأقدارهم، عبدالرحيم هذا اللعين الذي تلاعب برأسهما وهو يقول:

- لقد توصلت لشخص سيمكننا من الوصول للكنز المفقود.. سيتمكن من فك ذلك اللوح الزجاجي لنتمكن من الأستمتاع بثروة جدنا الأكبر.

أخذ يترنح بعقولهم، مستغلا لتلك الضائقة التي يمرون بها.. لم ينتظر طويلا لم يمر ثلاث ساعات حتى غادر البيت برفقه ابنها وزوجها بدران، ليقابلا هذا الشخص المجهول أمام منزل الجد.

صعقت حينما رأت ولدها غارقً في الدماء، لم تستطع أن تميز هل هذه دماءه أم إنها دماء أحدا غيره، تسألت في فزع إين أباك.. كانت أنفاسه المتلاحقه ودقات قلبه التي تستطيع سماعها بضوح من موضعها، كافية بأن تخبرها كل شئ، كلماته اللاهثه المتقطعة بيت شفتاه وأنزلاق تلك الدموع الحارة من عينيه، أخبرتها بكل شئ.

لقد أبتلعت تلك الأفاعى اللعينة حين كان يقف وعبدالرحيم بجوار ذلك الصندوق، البراق لقد رآه تلك السبائك والمجوهرات النفيثة بعينيه.. ولكن ما أن تفوه ذلك الغريب أنشقت الأرض من بين

أقدامهم.. لقد أبتلعة بدران وعمه عبدالرحيم لم تعطيهم الأفاعى فرصة للنجاه فلقد ألتهمتهما أحياء وتلك الدماء تعود لهما.

لا يعرف خليل هل سيأثر منه هذا الشئ وتطوله تلك اللعنة أم تركه الغريب لشئ في نفسه، لا يعلم هذا الغريب يعلم بهذا السر وتلك كرامه أنقلبت عليهما أم إنه ترك من دون ثأر ليخبر الجميع بأن لا آمل في هذا الكنز .. وسيظل أمام أعينهم من دون أن ينعموا به.

قضى خليل عشر أعوام بين فزع وصراعات داخلية تلتهم كل آماله وأحلامه، فما حدث لم يغادر ذاكرته يوما، تناثرت الشائعات بين مؤكدة ونافيه، منهم من قال بأنه هو من قتلهما لأن لا وجود لذلك القارئ الغريب فلم يراه أحدا غيره، ومنهم من يقول فقد عقله بعد أن لعن كما حدث لأفراد تلك العائلة، ومنهم من يؤكد بأنه يراه كل يوم يسير بعد منتصف الليل غارقً في دماء مجهوله وهو يصيح بصوتاً مكتوم وكأنه يشكو حاله، ومنهم من يقسم بأنه رآه وهو يقطع رقاب الحيوانات ويأكلها بنهم كل ليلة، حتى إنهم ألقوا عليه سفاح القطط.. لم يعد يعلم خليل ماذا حل به، وهل يصدق ما يقال عنه، أم إنه كما يخيل له بأن تلك البوابة الحمراء التي يذهب إليها كل ليله، يحتمى بها بعد أن تبرز من داخل حائط غرفته ويجالس اباه وعبدالرحيم وكل من مات آثر تلك اللعنة هي الحقيقة.... ولكن بالنهاية

لولا تلك اللعوب لما حدث كل هذا، لولا ماحدث لكان الجميع أحياء ينعمون بتلك الثروة التى لا تقدر بثمن وحياة.